محمد عبدالله الترهوني

جورج باتاي فيلسوف الغائط

محمد عبدالله الترهوني

جورج باتاي
فيلسوف الغائط

باتاي يجلس بجانبي الآن..

لم يسبق لي وأن عرفت جورج باتاي أكثر من هذه اللحظة، وما أكتبهُ هنا أبعد من أن يكون تقديمًا، فهذا الكتاب الصغير يقدم نفسه بنفسه. يعرض الكاتب محمد عبدالله الترهوني للقارئ في هذه الصفحات تاريخا من التحولات المعرفية والصراعات الفكرية التي شهدتها فرنسا في ذلك الوقت، كاشفًا لنا قوة التجربة، وصدق العلاقات الإنسانية في أحلك ظروفها وعذوبتها بلغة شعرية صارخة ومنفعلة تُنطق أحداث من عاشوها.

- *حمزة الفلاح*

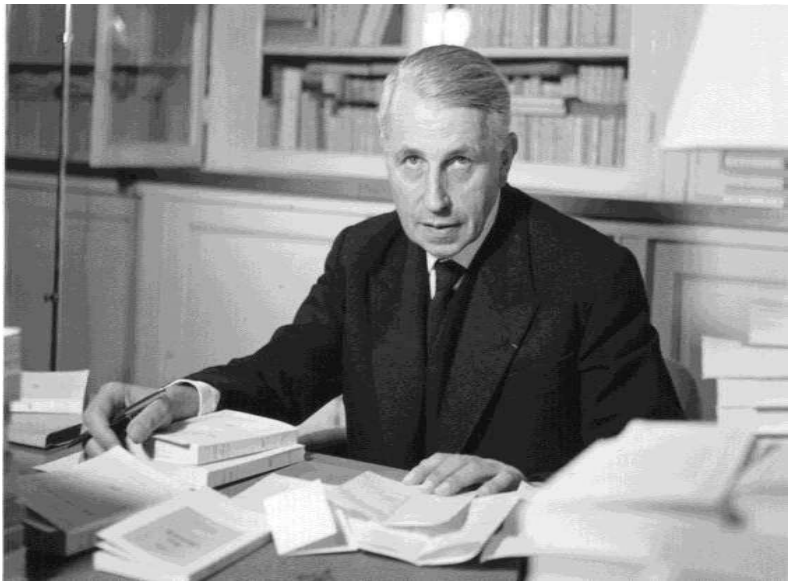

في البداية أحببت باتاي لأنه يكره الكلام الفضفاض،والثرثرة غير المرغوب فيها،و لأنه من النوع الذي لا يفكر في نفسه إلا بخشونة،وإذا أردتم فهم الموضوع أكثر فعليَّ القول أن باتاي لم يكن وقحا بسبب أي ضرورة،بل لأنه يحاول تحقيق ذاته من خلال الاختيار المرّ بين الكتابة لصالح الحياة أو ضد ممارسة النفاق،يجلس على كرسي غير مريح،وبشكل استفزازي لا يخلو من ود يجعلنا نختار معه بين أن تكون لغتنا لغة ضحية أو لغة جلاد،لكن لوضع الأمور في نصابها يجب القول أن هذا الكلام عن باتاي يقلل جدا من سحر وتعقيد الدخول إلى عالم باتاي،فدعوته لنا إلى عالمه ليست حميمة فقط،بل هو نفسه يعتبر أنه قد تمة دعوته بطريقة غريبة للتعليق على نفسه بسخرية،هذه محاولة مني للسيطرة على فوضى باتاي بالكتابة عنه،المعرفة يجب أن لا تتحول إلى سر،و أن لا تكون للبحث عن حقيقة،لأن الحقيقة لا تطلب مساعدة الكتب إلا عندما تكون زائفة ومشوهة.

يجب التسرب إلى حياة من خلال وقاحته دون أن تشعر بالحرج،باتاي منيع إلى درجة مرعبة،لكنه شفاف كقطعة موسيقية،أما الكتابة عن باتاي فتحتاج إلى الولاء حتى لا تكون مشبوهة،تحتاج إلى خطوط القلم الرصاص العميقة،وضربات الفراشة العنيفة،باتاي لا يساعد ابدا من يحركه الفضول نحوه،لا يوجه نظر من يحبه إلى أي نقطة غير ذاته،لا إشارات،و لا لوحات إرشادية،يبعد بشكل متعسف أنقى عناصر التجربة ليبقى الخراب مرسوم على جدار نظيف تماما،كيف يمكن سماع باتاي وهو يقول:**"ما كان صعبا عليَّ أكثر من غيره هو : النظر إلى براز أبي لمرات غير قليلة،كان من الصعب عليه الخروج من السرير،أومن الغرفة التي تشبه قدر الطبخ،يستلقي على السرير بملابس النوم،يغطي رأسه بقلنسوة من القطن،لحية رمادية وأنف كبير يشبه أنف النسر،عيون واسعة ومجوفة تحدق في الفراغ،في لحظات الألم المضيئة و الحادة،يعوي كبهيمة،يضم رجليه المقوستان إلى بعضهما البعض،ويحتضنهما بيديه بشكل عبثي ليوقف الألم"** ،قد

نشعر للحظة أن هذه الوحشية في الوصف عائق بيننا وبين باتاي،لكن عندما نفهم أنها وحشية بسبب كبرياء نابع من حزن حميم،عندما نفهم ذلك نسمع صوت باتاي كعدالة تقتص من المأساة،عندما ولد جورج في مدينة "بيوم" الصغيرة بـ "بي دي دوم" يوم 10 سبتمبر 1897م كان والده جوزيف أرستيد باتاي أعمى،ووالدته ماري أنطوانيت لا تتكلم إلا نادرا،أما أخوه مارسيل فلم يمر وقت طويل قبل أن يترك البيت ومعه العمى و الصمت خلفه،كل ما يحيط بجورج يلغي بعنف فرصة عيش تفاصيل الطفولة البسيطة،انتقلت العائلة وهو في الرابعة من عمره إلى منزل رقم 65 في شارع فوبورج بمدينة "ريمس"،مدينة الشمبانيا،الشعور بالمدينة هو دائما أكثر من معناه،كانت المدينة مرهقة بالنسبة لطفل يعيش فيها،لكن هو في الحقيقة بعيد عنها،العلاقات بين الأشخاص في المدن كما يقول "زيميل" **:"تتميز بتفوق ملحوظ لنشاط العين على الأذن"**،جورج كان يعيش داخل تجويف عين أبوه،وفي صمت أمه،لم يكن قادرا على العيش مع ريمس وطعم الشمبانيا تحت سقف واحد،كان البيت يكشف عن إعادة الاستعمال اليومي للعنف و السأم،يكشف عن التواصل المؤذي بين التعاسة و المصير المجهول،جورج الولد الصغير،لا يتذكر والده إلا أعمى،بعيون واسعة وفارغة حتى من صورة جورج نفسه،كان جورج يستغرب كيف تتحول هذه العيون إلى صفحة بيضاء أثناء تبول والده،كان يمسك بالوعاء الذي يتبول فيه جوزيف وهو واقف مكشوف الساقين،يحاول جورج أن يبقى ثابتا ويركز عينيه على مسار البول محاولا كبح جماحه و السيطرة على انحرافه بعيدا عن الوعاء،كان جوزيف يعيش في قدر الطبخ بلا رحمة،يحركه الألم من لحظة إلى أخرى، من صرخة إلى أخرى،وبعدها تأتي نوبات الضحك الهستيري الذي لا يدعي أحد في البيت أن لديه القدرة على تحملها،جورج أحب والده أكثر من أي شخص آخر،حب يشبه لعبة الخلق و التدمير،أومعركة مأساوية ضد حميمية بعيدة المنال،بالنسبة لمن حوله كان حبه لجوزيف مجرد عطب عاطفي،الطفل في عمره يجب أن يكون مشدودا إلى أمه،لكن العلاقة بماري انطوانيت كانت تشبه مسرحية أوديبية يتكلم فيها فرويد بصوت خجول وخافت،أمه كانت صنفا من الاشجار الحزينة،ذكريات جورج عن

هذه الفترة يختلط فيها الصراخ بالصمت،والضحك بالعويل،تختلط فيها التربية الصارمة و الضجر مع الانتهاك اليومي،كانت كل لحظة مع والده تمثل عدوان وانتهاك،لحظة تمثل التخريب،الطفولة مغسولة من فكرة الهوية،لكن الانتهاك اليومي للعلاقة بين الذات والخجل يؤسس لجوهر الانانية،المراوحة بين أن تكون الأبن في لحظة و أن تكون الأب في أخرى تجسد المراوحة بين العبودية و السيادة،من الواضح بشكل مؤلم أن جورج لم يكن مثل كل الأطفال قادرا على خلق ضوضاء،لقد تخلى عن صوت اهتزاز الحياة لصالح الصمت و الغياب.

كان وجود جورج يؤلف نفسه بطريقة أدبية،في البيت هناك أنواع من الصمت،سيولة الصمت تعني الإنكار،تعني أن الغضب يأخذ مكانه في المشهد،جورج يتبادل الألم و الضياع مع العجوز جوزيف،ويتبادل الصمت مع ماري انطواتيت ليختفي كشبح ولا يترك ما يدل على وجوده،ضعف صبياني مريح يخفي وراءه جهل مقلق بمعنى الحياة و الموت،مرض الزهري الذي يعاني منه جوزيف هو عدوان مؤكد على الحياة،ظل الموت الثقيل على صدر جورج يراه جوزيف بعيونه الفارغة من كل شيء إلا غبار القبر،في كل مرة كان الطفل ينزل فيها مع جوزيف إلى القبو كان يشعر بأن الموت هناك،في يده الشمعة و يد العجوز على كتفه،الظل الثقيل مرسوم على جدران القبو،ينزل معه الدرج بين الحياة و الموت اليقظ،تمسك الحياة هناك عن الكلام،الكلمات تتحول إلى عناكب تتحرك بهدوء وصمت تحت وطأة الفزع،النور مفزع،العناكب تتراجع إلى الخلف،الحزن لا يتحرك مع العناكب،الحزن يتحرك إلى الأمام فقط،الحزن هو الصرير المقلق لباب القبو،في ابتسامة جوزيف المشبوهة،في الكلمات القليلة التي لا يصغي لها العالم،جوزيف يصرخ،ينادي برجاء مستحيل على موت لا مفر منه،ماري تسد أذنيها بيديها وتلتفت حولها ببطء وابتذال،جورج يخرج كالمجنون إلى الشارع بحثا عن طبيب،جاء الطبيب قادما من مناطق بعيدة ومعه ليل يقف بصبر لا يقبل الطي،جورج يقف بجانب أمه أثناء فحص الطبيب لجوزيف،قال الطبيب كلماته القليلة واتجه مع ماري إلى الغرفة المجاورة،قال جوزيف المنغمس بسخرية في الألم،في الوجود،في الموت:**"أيها الطبيب،أرجو أن تخبرني عندما**

تنتهي من مضاجعة زوجتي"،لا شيء في خيال جورج يتوافق و هذه الصورة التي رسمها جوزيف ببساطة تشبه الموت،ألم الصورة يشبه الإحساس بالسوط وهو يلمس حبله السري بخشونة،جورج يؤكد في كتاباته أن هذه الجملة تركته خارج الحياة،وأن كل ما فعله أو كتبه ما هو إلا إعادة لصياغة هذه الجملة،أخفق في تلك اللحظة في إيجاد أي انطباعات سابقة لديه عن مفهوم الخيانة،كان العالم يلبس أمامه قناع مثقوب،ثقب صغير يشبه الثقوب في جدار الحياة نفسها،ثقب تمر من خلاله عناكب القبو إلى المجهول.

هل حقا كانت ماري أنطونيت تضاجع الطبيب؟،عندما سمع جورج كلمات جوزيف الساخرة عن مضاجعة الطبيب لأمه شعر أن الحبل المشدود قد انقطع،كيف لطفل في عمر جورج تفهم أن المثالية ليست عباءة يلبسها الإنسان ببساطة وهو خارج إلى الحياة،وأن الفضيلة كلمة أدبية بإمتياز وليس لها علاقة بالحياة اليومية،جروج أغلق على نفسه الباب،تألق في الغياب،شروده الشفاف كان يبعده بمسافة باردة وكافية عن أن تكون للخيانة صورة مرئية،الخيانة تعيش في مكان ساطع لكن مغلق،إنها نوع من الادخار،و اقتباس لابد منه للبرهنة على إنسانيتنا،كانت الطفولة بالنسبة لجورج تافهة،لكن ملائمة جدا للاستياء الشديد،لم يهتم بنوع المعيشة،و لا بالعناصر التي تشكل الحياة بالنسبة لطفل،يوما بعد يوم عرف أن الألم لا يختفي،من يشعر بالألم هو من عليه أن يختفي في الجزء الأخير من القاعة الكبيرة،عليه أن يستعد للهروب كل صباح،لأن العالم يقف مكتوف اليدين ومتخاذل ولا يساعد أحد،مثل هذا العالم يحقق فيه الألم نموه الكامل،بسذاجة الطفل فهم جورج أن اللامبالاة هي الحياة،كل ما عليه فعله هو الانزلاق بعيدا راكبا دراجته،يجلس وحيدا لساعات في الغابة،شاردا في طرقات صعبة لا تصل إلى شيء،انسحب من الدراسة وهو جالس في حجرة الدرس،الجلوس على المقعد يعني الحضور وهو يبحث عن غيابه الخاص،لا يريد أن يكون مرئيا في الصورة،يرسم خطوطا عابرة على الطاولة،يرسمها على قميص زميله،خطوطا تشبه الطرقات في الغابة،لم تعد لديه أي رغبة في الدراسة،وتحول إلى نوع سيء من الطلاب،متوحش،غاضب،عنيد،وعنيف في أحيان كثيرة،تم طرد جورج من

مدرسة ريمس الثانوية في يناير 1913م،كان الحزن يميل بكوعه على جورج ليغيب أكثر فأكثر،وعاش حالة من السلبية التي تأتي بسهولة من كل مكان في حياته،وأكثر مظاهر هذه السلبية هي فك عقدة التعاطف مع والده،العواطف غير المجدية تتلاشى و تضمحل مع الوقت،كان رفضه المشاركة في العالم واضحا بما فيه الكفاية،وكان رفض والده إكمال مشروع جنونه واضحا بنفس الطريقة،أما ماري انطوانيت فقد وجدت متعة في أن تكون خرساء،عمياء،و تتلقى فيض الحقد من الحياة كلمسة مخملية على خدها،لم تعد علاقة جورج بها هادفة،كانت نظرته لها خالية من الرعونة أو القسوة أو العصيان،خالية من الحب أو الكراهية،لقد خلصه جوزيف بسخريته من الشعور بالقداسة تجاهها،مر وقت طويل قبل أن يعرف جورج مرارة هذه النظرة غير المؤكدة،قبل أن يعرف معنى فخاخ السخرية التي تخفي الحقيقة،عاد جورج إلى الدراسة بعد عام تقريبا،لكن هذه المرة في إعدادية إيبرناي البعيدة عن ريمس ثلاثين كيلو متر تقريبا،اختار أن تكون الدراسة بالقسم الداخلي بعيدا عن الغابة وجنون العائلة.

في مدرسة إيبرناي تعرف جورج على بول لوكليرك،بول كان ذو حساسية دينية عالية،المطلق موضوع خطير،يرتعش بول عندما يتذكر صور الشر في هذا العالم،ويستشهد بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس أثناء حديثه عنها،يظل مشغولا بالصلاة ليتزود بالقوة الروحية الكافية للتصدي للشر،كان متأكدا جدا من نفسه،جورج كان يبحث عن صوت عال وحاقد على الحياة،وقد وجد صوت بول مريح جدا ليسحبه من منطقة وعرة و مشتبه فيها،تحول إلى الكاثوليكية كي لا يرى كل شيء قبيح ويستحق الفناء،وكي يفكر في التقليل من عدد الآثام التي سيرتكبها،حياته كانت صعبة مع العجوز جوزيف الذي يتحدث بشكل ساخر عن ندرة العثور على إله رحيم في هذا العالم،و ماري أنطوانيت التي لم يعنيها وجود إله لهذا العالم من البداية،لأنه إذا وجد فلن يكون له مكان بين صمتها وصراخ جوزيف الغاضب،بالنسبة لها فكرة قسوة الحياة عليها أفضل من فكرة قسوة إله،تحول جورج إلى الكاثوليكية كان هجوما مضادا على جوزيف وماري،هجوم يقف فيه مع الطيبين لينظر إلى جوزيف و ماري وهما مع المحتشدين أمام بوابة

جهنم ينتظرون رميهم فيها،وهو جاهز الآن لسماع ضوضاء صراخهم فيها من العذاب،تم تعميد جورج في أغسطس 1914م،وحافظ بكل ورع على التواجد كل صباح في الكتدرائية،لكن في هذا الوقت بالذات كانت كاتدرائية نوتردام دي ريمس قد تحولت إلى مساحة مترهلة تحت أقدام الجنود المكدسين فيها،ريمس تحت الحصار و الألمان على الأبواب.

كان مارسيل أخوه أحد المدافعين عن المدينة،أما هو فقد أجبرته أمه على الرحيل معها إلى ريوم-إس-مونتاني،خوفا من الحرب،تاركين جوزيف في رعاية خادمة،تاركين جوزيف يتسلق الجنون وحده،ويلعب مع الموت لعبة الحضور و الغياب،**"تركناه أنا و أمي،أثناء الزحف الألماني،في أغسطس 1914م"**،على طريق الهروب من الحرب كان الناس يحملون أشيائهم وعواطفهم بصبر،لا شيء يسقط منهم غير الدموع،كانت المجدلية هناك في آخر الطريق تمسح على رؤوسهم بيدها و عطرها يقول:لا شيء من هذا يجلب اليأس من الله أو يقتل الخير،لكن جورج لم يكن قادرا على البكاء،الدموع واقفة بينه وبين ذاك الذي يعوي كحيوان خلفه،كانت عيونه قبل أذنيه تسمع الأنين،ترك أبوه يتمرغ في قدر الطبخ وحده،يتمرغ في اليأس وحده،ترك أبوه بقدم في القبر وأخرى في جحيم المرض،السير على طريق الهروب جعله يعيد النظر في مفهوم الخيانة،الدخول مع الطبيب إلى الغرفة المجاورة يبدو لا معنى له مع ما يفعله هو الآن،هو نفسه في الغرفة المجاورة الآن مع الألم،الخيانة ورقة يابسة و هشة شعر بها تتكسر تحت قدمه مع أول خطوة خارج البيت،الحقول و التلال على طول الطريق إلى ريوم-إس-مونتاني تنظر إليه بعيون فارغة،فكر في أمه وهو يسير معها ببطء إلى مشروع هروبها النهائي،كان يريد العودة إلى ريمس،يريد إبعاد الوعي الكامل بجريمته،لكنها كانت ترفض أن تكون وحدها مسؤولة عن الكارثة،نظرته إليها لم تعطي مجالا لما يسمى الغفران،هذه النظرة كانت السبب وراء دخولها في طرق ملتوية من الكآبة و المزيد من الصمت،حاولت الانتحار لمحو نظرته و الماضي بأكمله،لكنها لم تنجح،الحبل الذي ربطته في العلية كي يخلصها من ثقل الحياة كان أضعف من أن يضع نهاية لعذابها،وفي يوم آخر حاولت إغراق نفسها،لكن

الماء لم يتقبل ثقل جسدها الراقد فيه،دخل جورج في اللحظة المناسبة و أنقذها،الموت احيانا يكون صعب المنال عندما نود القبض عليه،لكن جوزيف قبض على موته الخاص يوم 6 نوفمبر 1915م،لقد نظر جورج إلى موت العجوز جوزيف كجريمة مميزة،موت كان منتظرا ومبعدا في مشهده،لكن لا يمكن تخطيه بسهولة،رجع مع أمه إلى ريمس لينظر إلى جوزيف أرستيد باتاي وهو صامت أخيرا،لم يستطع جورج وصف مقدار التورع و الندم الذي شعر به وهو أمام النعش،للموت دائما دوافع خفية،للموت دائما شعرية مقلوبة،لهذا اختار جورج وهو أمام النعش أن يكون راهبا.

شكل 1 كاتدرائية نوتردام 1914 ميلادي

كان المطر غزيرا عندما خرج جورج مع أمه من المقبرة،آثار خطوته في طين الموت واضحة خلفه،كان يعرف جيدا ما عليه القيام به،أحدث جورج نقلة مفاجئة في مستواه الدراسي،الرعب كان يرقد بجانبه كل ليلة،الرعب من الفشل،من العيش بدون إيمان،لا يمر أسبوع إلا وقد اعترف بكل خطاياه،حافظ على الصمت ليعقد مصالحة مع نفسه،يبحث عن مفاتيح الأبواب المغلقة أمامه في التأمل،الجوع،و اليأس من الرغبة في شيء والابتعاد عن مكان الضوء قد يعيد الروح التي ضاعت،كان يقول في نفسه:**"لم ينزعج أحد في هذا العالم،ولا هناك في السماء،من أن أبي كان يحتضر"**،لم تعد صرخات جوزيف تزعج أحد،لن يتذكر أحد فراغ عينيه و انفه الذي يشبه منقار الصقر،الموت عديم الرحمة يستمتع عندما تشعر الحياة بالمهانة،جورج كالعادة لم يكن يحدث الكثير من الجلبة،ولديه الكثير من الوقت ليعيد التفكير في كل شيء،شوهد وهو يبكي إلى أن يسقط مغشيا عليه،شوهد وهو يضرب نفسه بالسوط إلى ان تحول جلده إلى اللون الأزرق،نزيف غزير،الدم يسيل في كل مكان،ما الذي يجب الاعتراف به؟، السر، الكسل الروحي، الأنانية، الغضب لابد من عقاب،لا أحد في صفك،تمسك بخيط رفيع وسط الدخان والحزن،تناضل من أجل استعادة الثقة في النفس،من أجل الإيمان والقدرة على الحب ويوم واحد سعيد،الحياة متقلبة وشرسة ومشبوهة بالنسبة للمؤمن،الثقة منزل خشبي قد يحترق في أي لحظة،جورج لم تكن هناك كلمات في فمه و لا ابتسامة على شفتيه،عمل بكل جهد واجتاز عقبة الشهادة الثانوية في الفلسفة بالمراسلة من دون أي تمييز أكاديمي،لكن هذه الفرحة الصغيرة لم تستمر طويلا ففي عام 1916م عرف جورج أنه مصاب بالسل،وعرف آلام لا نهاية لها،ومضات من النار في صدره أبعدته عن الحرب الجامحة،وإذا كان المرض قد قدم له الإعفاء من الذهاب إلى الجبهة،فلا بأس من كتابة بعض الاوراق كتحية للقيصر،ولأنه وجد أن هذه الأوراق لا تشبه الأخاديد المرعبة التي يجلس فيها الرجال في الخطوط الأمامية قام بتمزيقها على الفور،في هذا الوقت بالذات كان الشاعر أبولنيير في مونمارتر-باريس وحوله ماكس جاكوب،وراؤول دوفي فرانسيس،أندريه بريتون،وغيرهم يتحدثون عن مفهوم

الوطنية و الكراهية المقدسة للقيصر،تجاهل باتاي موضوع القيصر،قرار وهو جالس في يوم مشمس تحت شجرة من أشجار حديقة المشفى أن يسجل للدراسة في حلقة "سان فلور"الأسقفية،ويقضي فيها السنة الدراسية 1917-1918م،وقبل أن يضع حدا لوجوده في هذه الحلقة كان قد اكتشف شغفه بالكتابة.

اختيار الكتابة يعني اختيار الخروج من الصمت،لكن ليس إلى مجرد تبادل الكلمات ،الكتابة بالنسبة لجورج هي إعلان الحرب على الأسرار،و اعتراف لا يعرف الغش،وهذا ما يجلب نشوة لا نهاية لها،كانت تجربة المشفى العسكري الذي تم عالجه فيه من السل مرعبة،كل ما حوله يتكثف ليصبح صورة عن يوم القيامة،حالة الجنود المرعبة،صرخهم الذي يشبه صراخ جوزيف يكاد يصيبه بالجنون،راجع كل أفكاره عن معنى العذاب و تقبل الإنسان له،عن الأخلاق و السياسة،لم يجد في أفكاره ما يثبت إي شيء عن أي شيء،بكاء،وأصابع تفشل حتى في مسح الدموع أو الدم الذي يمنع الرؤية في ضباب يشبه العباءة الشاحبة،كان جورج في عزلة،سلم نفسه لمأساة المكان،يرى جوزيف في احلامه وهو جالس بجانب وعاء البول،وعاء يشبه الحياة و المهزلة الإنسانية التي تسمى الحرب،الحرب تلبي رغبة الموت بلا هودة،المرض يلحق الهزيمة بالحياة في كل لحظة،جوزيف ينظر إلى جورج وهو مبتسم،في الأحلام تخلص جوزيف من العمى،وسط كل هذا العذاب كتب جورج باتاي قصيدة عن القدس،وكان قبل دخوله المستشفى قد كتب بعض الكلمات عن كاتدرائية نوتردام دي ريمس أثناء الحصار،لكنها كانت كتابات تشبه وضع تاج من الأشواك على رأسه،كتابات أراد منها تشجيع نهوض الحياة المسيحية من جديد،شجعه على هذه الكتابات صديقه جان غابرييل فاشيرون،في بعض الرسائل حدث فاشيرون عن استعداده للتضحية بكل شيء في سبيل حياة مسيحية حقيقية في أسرة تخدم الله،كانت ماري ابنت الطبيب الذي يعالج أمه هي المرشحة لتكون شريكته في هذه الأسرة،الحياة أيضا لديها انحرافاتها التي تشبه انحراف بول جوزيف عن الوعاء في يد جورج.

لم يتأكد جورج من أنه غير قادر على قمع الحياة فيه من أجل الوضوح،لكنه تأكد من أن الحب من أجل مجرد الشعور بالأمل يجعل الحياة ناقصة،لم يعرف أن الكتابة غول شهواني،وأن الهوس بالكتابة يعني الحياة دون انقطاع،ولم يفكر ابدا في أن الخروج من كل التفاهة و الحمق وتهديد الموت عن طريق الكتابة يعني الدخول في تقاليد طويلة من التمزق،كان يفكر في الكتابة كمرآة تعكس حساسية العناية بشفافية منافقة،لم يعرف باتاي في تلك اللحظة أن هذه الفكرة تحديدا هي ما يسبب تراجع الأدب،لا أحد يعرف كيف تحول باتاي من طالب رديء،إلى شخص مهووس بالكتابة،هذا الهوس لم يكن يتناسب وحجم معرفة جورج بالكتب،فهو لم يكن يقرأ إلا بسبب الواجب،ولا كانت القراءة شغله الشاغل من قبل،لكن كانت هناك نواة داخلية متعطشة للحديث،نواة تعرف جيدا أن الحزن بالنسبة للكاتب ما هو إلا حرفة،جورج ليس لديه العمق الكافي للوقوع في إغراء الكتابة بشكل كامل،القراءة ممارسة صعبة،جورج كانت لديه روح الكاتب ولم يكتسب بعد غريزة الكاتب،إطلاق العنان للكلمات يحتاج إلى أن يكون الخبث عادة يومية،كشف الحياة و فضح اسرارها يحتاج إلى مكر كريم و متوهج على مدار الساعة،لهذا ترك جورج الحلقة الدراسية "سان فلور"،في عام 1917م ركب القطار المتجه إلى باريس ودخل كلية "إيكول دي شارت"،وفيها درس تاريخ القرون الوسطى،ترك خلفه البكاء،والسوط،ووعاء البول،والكثير من الحزن و الموت،ترك خلفه الحياة التي تتنهد بسبب الكثير من البؤس،لكنه لم ينسى تاج الشوك وأخذه معه.

في نوفمبر 1918م دخل جورج باتاي باريس،عاش السنة الأولى من دراسته في "إيكول دي شارت"يسكن في مكان صغير للطلبة في 65 شارع دي بونابرت مقابل سانت سولبيس،يشاركه الغرفة الفنان أندريه ماصون الذي ستجمعه به صداقة إلى آخر العمر،لا أحد يعرف لماذا اختار باتاي العصور الوسطى للدراسة،و لا لماذا اختار "إيكول دي شارت" بالذات،الواضح أنه كان يعمل على التخلص من آخر بقايا الحياة الدينية،ومعها الباب الخشبي القديم للدير،في الوقت الذي كان يفعل فيه باتاي ذلك،كان تريستان تزارا في ديسمبر 1918م

يصرخ:**"يجب إعطاء زخم البساطة العليا للفن،يجب أن يكون الفن في حالة تأهب ضد من يريدون وضعه على صليب الملل،كل الأفكار الجميلة عليها أن تطرد البرجوازية،العمل الفني لن يرضخ بعد اليوم لقيم البرجوازية،لن يكون الفن حزينا أو سعيدا،واضحا أو غامضا،و لن يستمع إلى قيم النفاق،أعرف نفسك هي المدينة الفاضلة،لكنها مدينة خانقة،و خربة بسبب النفاق،الرسم الجديد لا يرسم العالم،بل يخلق عالمه الخاص،لن تزين لوحاته قاعات طعام البرجوازية،ما يربطنا بماضي الفن هو التباين،الاختلاف،القطيعة،الـ "دادا" هي استجابة لحاجة كل إنسان إلى وصف العالم،هي حرب على تاريخ من الإساءة الطويلة ضد الإنسان،هذه الإساءة ليست شيئا آخر غير الحرب"**،قال تريستان تزارا هذه الكلمات في باريس بعد سنوات من بيان الحركة الذي صرخ به يوم 14 يوليو 1916م في افتتاح كابريه فولتير بأحد شوارع زيورخ القديمة،في هذه الليلة غنت مدام هيننغز بعض الأغاني الدنماركية،ومدام لوكونت بعض الأغاني الفرنسية،وقدم ماكس أوبنهايمر أول عرض له في تلك الليلة،تم قراءة البيان في شرفة كابريه فولتير بحضور هوغو بول،إيمي هيننغز،ريتشارد هوسينسلبيك وغيرهم،باتاي كان بعيدا عن هذه الأجواء،منكبا على دراسته التي لم تكن أكاديمية صرفة،و بداية 1919م استأجر شقة وجاء بأمه و مارسيل إلى باريس،كانت أطروحته لنيل الشهادة حول القصيدة التعليمية في القرن الثالث عشر،وكيف كانت هذه القصيدة لا تفرق بين الكاهن و القديس،إلى لحظة كتابة هذه الاطروحة لم يفقد باتاي إيمانه،كان إلى هذه اللحظة يحمل السماء و الأرض على كتفيه،وتاج الشوك فوق رأسه،كان في قلب المأزق الذي يعيشه كل إنسان يصبح في لحظة ما وبسبب الظروف صاحب إيمان على المحك.

كانت لدى باتاي رغبة كبيرة في السفر بعيدا عن كل شيء،سافر إلى لندن لإجراء المزيد من البحوث حول أطروحته،في بيت أصدقاء مشتركين التقى باتاي بالفيلسوف الفرنسي هنري برجسون و اعتبرها باتاي صدفة عظيمة،تم التنسيق لتناول العشاء مع برجسون في جلسة خاصة،باتاي قرأ كتاب برجسون"الضحك" قبل ساعات من موعد تناول العشاء معه،كان هذا هو اللقاء الأول بين باتاي و

الفلسفة بشكل مباشر،لقد كان اللقاء خيبت أمل كبيرة بالنسبة لباتاي،فلا برجسون الشخص و لا كتابه الضحك كانا جديرين باهتمامه،لكن الكتاب حفز باتاي على إعادة النظر في جوهر الضحك،والدموع،لقد عرف باتاي بعد فترة من ذلك اللقاء أن الضحك كما الدموع هما حميمية يصعب مقارنتها مع شيء آخر،حميمية تأتي بجمال من المفاجئة الداخلية التي تثير الضحك أو البكاء،لا يمكن الضحك بدقة عادلة،الضحك يتملص منا و يمضي في طرق ملائمة لإعادة استعماله،ليس هناك في الحقيقة ما هو أسهل من الضحك،لا أحد يتأخر عن الاستجابة لإغراء الضحك،وهذا ما يفقدنا القدرة على فهمه،أجمل ضحك هو الضحك من عدم الارتياح لمفهوم اللانهائية،الضحك رغبة خالصة في خروج شكل للروح،ابتهاج مؤلم وظمأ لمتاعب اللعب،الضحك في وجه المستحيل،ضحك عالي وصاخب دون تحفظ في وجه التمزق بسبب المعاناة،الضحك بالنسبة لباتاي منصوص عليه في مكان ما في كل نص،وفي كل معنى،لأن النص يضحك ويقهقه في وجه الموت ووجه المستحيل،ويبكي في وجه الموت ووجه المستحيل في نفس الوقت،باتاي قرر أن يضحك مع نيتشة لأنه فهم أن الإنسان المأساوي هو وحده القادر على الضحك أكثر من غيره،لأن الضحك بالنسبة لهذا الإنسان هو فائض العذاب و الألم،لابد من ضحكة في وجه الخراب،في وجه من تحدث عنهم مالارميه،أولئك الغارقين في الجدية الكاذبة،الضحك ليس هروبا من شيء،الضحك من أجل فهم معنى النشوة،برجسون كان بعيدا جدا عن فهم أننا نبقى على قيد الحياة فقط لتعلم إتقان الضحك،قضى باتاي معظم أيامه في لندن يتردد على غرفة القراءة بالمتحف البريطاني،كان يجلس على المكتب رقم سبعة،وهو نفس المكتب الذي كان يجلس عليه كارل ماركس،لم يكن باتاي يعلم ذلك،ولم يتخيل أن لينين دخل هذه الغرفة القراءة تحت اسم مستعار هو يعقوب ريختر كي ينظر إلى المكان الذي كان يجلس فيه ماركس،بعد العودة من لندن كان باتاي يشعر بالحنين لحياة العزلة،رحل إلى دير كار على جزيرة وايت،عاش أياما في نزل صغير تحيط به أشجار الصنوبر،يجلس على الشاطئ يراقب صورة وهي تتحرك على صفحة المياه الساكنة،كان يراقب ما ينزل بسرعة من السماء إلى الأرض و ينطفئ بسرعة،لا

شيء امامه يصعد من الأرض إلى السماء،لم يكن تحت سيطرة أي فكرة،كان يحاول إخفاء حزنه بعد أن رفض والد ماري زواجه منها،لقد كان جورج وقبل كل شيء ابن رجل مريض بالزهري و مجنون،و أمه حاولت الانتحار أكثر من مرة،والد ماري لديه تكهنات حول ما يمكن أن يكون عليه باتاي في المستقبل،لا أحد يستطيع الفرار من بعض جوانب حياة من ينتمي إليهم،كان باتاي يحاول الإمساك بوجوده الخاص،لكن صورة الراهب كانت تنزلق من قبضته نحو موج البحر،كانت الحياة عالقة في حلقه،في هذه الأثناء كانت الـ "دادا" هي الحدث الأكثر إثارة في باريس،بعد زيارة تريستان تزارا لها انضم إليها بحماس وشغف أندريه بريتون،مارسيل دو شامب،فرنسيس بيكابيا،بول أيلور،هانز آرب،إيفي تانجي،سلفادور دالي،ماكس أرنست،رينيه كرفال،مان راي،برتولد بريخت،هؤلاء كانوا نجوم باريس،جذبت الدادا حتى التلاميذ و الفنانين الصغار إلى صفوفها،كانوا يجرون في شوارع باريس صارخين:**"التجار لا يحبون اللوحات،الفن أهم من النقانق،الفن أهم من النساء،الفن أهم من كل شيء،لن تكون أقل ذكاء لأن جارك يملك أشياء في بيته أكثر منك،ابتعد عن قرف التكعيب،عن قرف الحياة،ابتعد عن قرف المزادات العلنية التي تبيع التوقيعات بثمن غالي،للفهم هوية لا تعرف إلا الدمار،لا تحاول فهم شيء،أنا مثلا فرنسيس بيكابيا لا أفهم شيء،لا شيء"**،باتاي ينظر إلى أشجار الصنوبر وهي تهتز،يحلم وحده في عالم بلا جدران ومزدحم،وباريس مزدحمة بكل الجنسيات،بكل أنواع الفنون،بكل أنواع الجنون اللذيذ،وباتاي يجلس وحيدا،ليس لديه أي قدر من الثقة في هذا العالم،و لا في باتاي الراهب،و لا في ماري و الأسرة المسيحية التي أرادها في لحظة ما،حمل حقيبته ورجع إلى باريس،لم يكن باتاي الراهب معه،تركه هناك بين أشجار الصنوبر،العزلة جميلة،لكن تأثير اللحظات الجميلة في باريس أقوى من العزلة،أقوى من تصوره لنفسه كراهب،ليس لديه ما يعترف به،الحياة قالت كل شيء،لكن باريس بكل ما فيها لم تستنفد في أي يوم شعوره القوي بالدين.

باريس هي المدينة التي تم فيها التفكير في أدب جديد بدلا من دين جديد،لم يفكر أحد في باريس في إذا ما كانت الملائكة ذكور أو إناث،كان البحث فيها يتعلّق بالكتب في الزوايا المتربة،الثقافة هي ما كان يثير اهتمام باريس،لأنها ليست مجرد مدينة،إنها مكان الطموح الذي يجلب الفخر،مثيرة للإعجاب لأنها تخلت عن ركام الماضي في وقت مبكر جدا،في نهاية القرن السابع عشر كانت لديها كل الرغبة في التحرر من الأوهام و التمسك بالعالم،تغيير الأفكار و العقليات لا يكفي،يجب تغيير الفضاء الذي تدور فيه الأفكار كي يكون مناسبا لها،يجب اختراع نموذج حضري جديد يتفوق على الأعذار القديمة،البنية التحتية،العمارة السكنية،لقد جاء زمن التحرر من القصور و الكنائس،باريس هي أول مدينة يحتاج فيها الإنسان إلى خريطة وكتيب إرشادي صغير،البنية التحتية الجديدة،الطاقة الخلاقة للمدينة،تهدد الكسل،عليك أن تسير على قدميك،تتبع خطوط الخريطة،لكن ليس لرؤية شيئا معينا،عليك أن تجهز نفسك لترى مدينة كاملة،الشوارع في باريس ليست الشوارع القديمة،تلك الشوارع المخصصة للوحل و التراب و العذاب،الشوارع الجديدة هي مكان الابتعاد عن الاشمئزاز و الخوف،عام 1692م رسم نيكولا فير أول خريطة لباريس،تسرد الخريطة حكاية المعالم،الشوارع،الجسور،القصور الآثارية،السدود،وكيفية الانتقال من مكان إلى آخر،تحولت باريس من مكان دمرته الحرب بين الكاثوليك و البروتستانت،وتفتقر إلى كل شيء تقريبا،تحولت باريس من مدينة وجدت فيها الذئاب مكانا للنزهة و الصيد،إلى مدينة تجد في كتيبها الارشادي أين تجد أفضل جبن،أفضل زبد،أفضل خياط،الناس تمشي على ممرات من التراب الصلب بدلا من المشي على العشب،كراسي للجلوس في الحدائق لقضاء وقت الفراغ،شرفات كبيرة مطلة على الشارع لمتابعة كل تفاصيل الحياة اليومية،لقد انتقلت باريس مباشرة إلى هدفها.

كان الأدب يحاول ان يتكيف مع باريس الجديدة،يدور مع بودلير في شوارع باريس اثناء انتفاضة العمال في يونيو عام 1848م وهو يحمل بندقيته،الأدب شعر بالغيرة من باريس،كان هو أيضا يحلم ببزوغ فجر جديد،ويال المفارقة العجيبة،إذ أن ذاك الذي يحمل بندقيته هو من قال:**"الأدباء الكبار يتحولون تلقائيا وحتميا**

إلى نقاد"،لقد أعلن بذلك عن ميلاد الحداثة،كان الأدب يحلم مع بودلير و أزهاره الشريرة بمجتمع أكثر عدلا،أكثر حرية،وأكثر أخوة،كان هناك خوف من الغرق في هذه الحداثة،خوف من تناقضات مدينة حديثة مثل باريس، ستندال، بلزاك، فلوبير، بروست حاولوا تخفيف التوتربقولهم:**"الحياة مليئة بالجمال إذا استطعنا الكشف عنه"**،بروست فتح الباب على الحياة الجنسية،على الشذوذ،في حين شدد فلوبير قبله على الهامشي و المبتذل و المزحة الفاحشة،من وجهة نظره اقتحام القصر الملكي ليس موضوعا سياسيا أو ثوريا،بل جهد بسيط لحذف سطر بسيط من نص الحياة،فلوبير كان يتكلم بصوت خافت خوفا من أن تتعرض الأحلام لاختبار الواقع،وتفشل الاحلام كما يفشل الحب الثوري،أما ستندال فكانت لديه موهبة فضح المجتمع و الطبيعة البشرية التي لا تعرف التعامل مع السعادة،وبلزاك يشدد على وجود الأوهام في هذه الحياة،ولا بأس من فضح بعض كواليس باريس للتأكيد على حب الناس لهذه الأوهام،العاطفة البرجوازية كانت متوفرة بكثرة في كتب هؤلاء،لكن بودلير و رامبو و مالارميه كان لهم رأي آخر،بالنسبة لهم ستندال و بلزاك و فلوبير و بروست هم الوجه الآخر من العملة البرجوازية القديمة،الحداثة مع هؤلاء تسير ببطء،حداثة الذوق و أسلوب الحياة،التقدم الصناعي و تكدس الناس في باريس الحديثة يجعلها فصل من فصول الجحيم،بودلير قفز إلى المطالبة بالفوضى الخلاقة بدلا من الطوباوية التي تلبي مطالب الحقيقة و الشفافية،رامبو كان أكثر تشائما من غيره،فصوت محرك البخار كان مرعبا بالنسبة له،هذا الصوت سيذهب أبعد من التنوير،أبعد من الثورة الفرنسية،أبعد من الذوق و أسلوب الحياة،هذا الصوت في طريقه إلى الرأسمالية و لن يوقفه الشعر،لهذا حمل حقيبته وذهب إلى أبعد مكان هربا من هذا الصوت،مالارميه كان يستكشف العالم و لم يحاول ابدا الوصول إليه،لقد عرف جيدا حدود المعرفة وحدود اللغة،وبما أن العالم ليس سوى رغوة شمبانيا جيدة من ريمس فعلينا بالسخرية وخفة الظل،على الناس أن تستمتع بباريس و تنسى الجدية،رامبو كان طليعيا لكن اختار عدم المواجهة،اختار السفر بمحرك بخاري إلى الموت.

في 1 فبراير 1922م نجح باتاي في الدفاع عن أطروحته،ونال شرف الاستمرار في عمله و الدراسة العليا في المركز الفرنسي للبحث العلمي و الثقافي في مدريد،في هذا الوقت بالذات جمعته صداقة مع ميشيل ليريس،يقرر هو وميشيل ليريس إصدار مجلة تحمل اسم "نعم" ردا على مجلة "لا" الدادائية التي يقودها تريستان تزارا نفسه،لكن المشروع توقف بسبب مشاكل مالية،تم تأجيل المعركة إلى وقت آخر،ينغمس باتاي في حياة الليل،كان يجد رائحة الحياة في الليل،يوما بعد يوم كانت الحاجة المحرقة للمتعة تزيد،الحياة تشبه النار في علب الليل الصغيرة،باتاي يعيش فوق فوهة بركان اسمه اللذة،كان يعيش هياجا مرعبا،عيونه مفتوحة في الظلام،يقاوم قانون جاذبية ما هو مطلق في هذه الحياة،كان يحاول إدماج مشاعره و وجدانه في حياة مادية بإمتياز،هناك دائما خطأ،وهناك دائما فرصة لتصحيح هذا الخطأ،لكن باتاي لم يتقبل هذه الحكمة أبدا،باتاي يصحح الأخطاء بأخطاء جديدة و ممتعة،يتجول في باريس بطريقة فوضوية و هو يفكر في الموت و الجنس و السياسة و الحب،في هذه الفترة كانت لديه عاطفة الفارس،و الموعظة التي يتقنها قديس،ولديه بشكل مفرط في شراسته رغبة في المعرفة،في هذا الزخم الذي يغفر فيه باتاي للحياة كل جرائمها،كان يحاول بهذا الغفران منح الحياة فرصة العثور عليه من جديد،وجد نفسه في الطريق إلى اسبانيا،تنقل فيها من ميرندا إلى بلد الوليد،ثم إلى غرناطة ومنها إلى طليطلة و اشبيلية،لمس باتاي مفهوم العنف عن قرب في اسبانيا،المشاهد الدرامية في حلبة مصارعة الثيران جعلته يشعر بأنه فهم معنى المتعة الإنسانية العنيفة،التضحية و القربان و الفداء كلها متع عنيفة منحها الإنسان غطاء القداسة،في 17 مايو 1922م كان المصارع مانويل جرانيرو يقف في وسط الحلبة،باتاي امتلأت رئتاه برائحة عرق الثور الذي يقف في مواجهة جرانيرو،قرون الثور لا تستوعب فسحة الحلبة،باتاي شعر أنها تنظر إليه بوحشية،لم يتذكر في تلك اللحظة كلمة تصف يأس الثور أو أمل جرانيرو،الثور يرفع الرهان،الجمهور يفكر في طعم اللحظة الأخيرة،الثور يضرب الأرض بحافره و ينطلق نحو يأسه،مانويل يقوم بتمويه الثور،دقائق إضافيه من أجل متعة

الجمهور،التأخير لم يفاجئ أحد،التمويه خطوة للأمام بأثر رجعي،الثور ينظر للأحمر كرحلة مدوخة،يتراجع خطوتين إلى الخلف فيصبح قريبا من باتاي وبعيدا عن مانويل،باتاي يراقب التعاون الحميم بين الثور و مانويل للوصول إلى حافة الموت،باتاي يسأل لماذا الأحمر؟الجمهور يجيب،لأن الأحمر هو الإطاحة بهيمنة الحميمية في التسلط على الآخر،الإطاحة بموت لا يكون جميل و لا يشبه الفراغ المرعب،مانويل يقوم بتمويه عدوانية الثور،السيف يقف محايدا بين الجمهور،الثور يقوم بتمويه السيف و مانويل و الجمهور ويغرس قرنه في جسد مانويل جرانيرو،مرة ثانية،و الثالثة كانت في عين جرانيرو اليمنى،باتاي عرف معنى العدوانية،عرف ما الذي يفعله الضيق و اليأس،لا قداسة في طعن الثور لجرانيرو،هنا يكمن الرعب،لقد حدد باتاي نوع الرعب الذي يرغب فيه،رعب الحب الذي بين مانويل و الثور هو ما يرغب في الشعور به.

في شهر يونيو وتحديدا يوم 10 عام 1922م يتم تعيين باتاي كمتدرب في دار الكتب الوطنية بباريس،في هذه الفترة يكتب باتاي الكثير من الرسائل،خاصة إلى كوليت رينيه و زميل الدراسة السويسري ألفريد ميتروكس الذي أصبح أنثروبولوجيا و أحد تلاميذ مارسيل موس المهيمن في تلك الفترة،وهو من قام بدراسة ظاهرة الزومبي في هاييتي،وطقوس شعب الإنكا،والممارسات الدينية للسكان الأصليين في جزيرة الفصح،في إحدى هذه الرسائل يقول لكوليت رينيه:**"لم أعد قادرا على تحمل قلقي،لقد تم سحب الحياة مني تماما،أفكر في الانتحار،لكن هذا لا يعني أنه ليس لدي الشجاعة الكافية لعيش حياة غير سارة"**،باتاي بالنسبة للآخرين شخص وحشي،متطرف في كل شيء،و أكثر من ذلك مغرور بطريقة جارحة،لقد كانت لديه خبرة والده و والدته إذا تعلّق الأمر بالجنون و الكآبة و معنى الحزن الطويل،وليس من السهل ابدا إقناعه بجدوى الأمل،في البدايه كانت مساعدته النفسية كوليت رينيه تقوم بتشجيعه على تحمل الألم،كان الجنس أحد أهم مصادر قلقه،المرأة تحولت إلى الثور الذي اقتلع عين جرانيرو،جميلة المرأة،لكن قوية ومتوحشة،المتعة بالنسبة لباتاي تحتاج صفاء العقل،واليقين من العودة إلى هذه المتعة مرة ثانية،وهذا يعني التمرد على الشعور

بالذنب،لكن وهذا هو المهم القدرة على الاعتراف بهذا الذنب بسهولة،كوليت لم تفهم أن باتاي في هذه الفترة كانت تتنازعه أفكار يستبعد بعضها البعض،ومشاعر متناقضة تجاه الناس و الأشياء،لم يكن في حياته ما يجذبه إليه بقوة،يعبر عن كل شيء بجملة واحدة،كيف لشخص قرر أن يكون كاتبا أن يعبر عن كل شيء بجملة واحدة؟،بعد عودته من اسبانيا و بسبب من دهشته و تأثره العميق بالتاريخ العربي في اسبانيا،و طقوس مصارعة الثيران أخبر صديقه ألفريد أنه يريد أن يكون أنثروبولوجيا و ليس كاتبا،لم يكن هناك مسارا محددا لهذه الرغبة،و لا فكرة محددة عن ما ينوي القيام به،الكحول و العاهرات هي الحقيقة الوحيدة التي كان يعرفها،يقرأ في هذه الفترة الحرجة كتاب نيتشة "ما وراء الخير و الشر"،هذا الكتاب كان كافيا ليطرد كل بقايا خوفه من أن يكون شريرا.

كان عام 1923م حافلا بالقراءة بالنسبة لباتاي،لقد دخل لتوه إلى عالم قراءة الكبار،وهذا ما كان في حاجة إليه،قرأ فرويد،كيركغارد،أفلاطون،بسكال،ويقوم ليون شيستوف بتعليمه كيفية قراءة ديستويفسكي،ويتعمق أكثر في قراءة نيتشة،وهذا الأخير جعل باتاي يشعر أن كل كتابة بعده ما هي إلا إعادة تدوير لأفكار قد كتبها نيتشة من قبل،الكتابة بعد قراءة نيتشة حلم مقلق و غامض،وحتى لا يتعب نفسه في هذا الجانب كتب العديد من المقالات في علم المسكوكات،بعد أن جرب كتابة بعض القصائد و بعض القطع النثرية،وقصص قصيرة لم ترقى إلى ما يطمح إليه،أهمل كل هذه الكتابات،ولم يعاود النظر إليها،من وجهة نظره لم تصل هذه الخربشات إلى صميم الكتابة،لدى باتاي نمط خاص و معقد من التفكير،فهو قارىء كسول،لكنه قادر بشكل مذهل على الوصول إلى عمق الأفكار و السطور في أي كتاب يصل إلى يده،قادر على فهم الأفكار و تطويرها إلى حدودها القصوى،الأفكار الشاحبة تتحول معه إلى أفكار بوجه جميل وناصع البياض،الأفكار الطيبة تصبح شريرة و مضحكة في نفس الوقت،الافكار الحزينة تصبح ساخرة و لها ابتسامة شريرة،الكتابة مع باتاي مثل سيف جرانيرو المحايد وسط الجمهور لا تفرح بالنقاء و لا تنزعج من الدنس،لا تعرف العقلانية الجافة و المتزمتة،و لا الروح الهائمة في الرطوبة،لقد شكل باتاي صدمة بسبب فهمه

العميق أفكار الآخرين و استخدامها للرد عليهم،أو للوقوف إلى جانبها و منحها جاذبية مضاعفة و خطيرة،و لا شك أن فهمه للنصوص بهذه الطريقة يتجلى في قدرته على ترجمة نصوص غاية في التعقيد،وخير مثال على هذه النصوص مساهمته في ترجمة كتاب شيستوف"فكرة الخير عند تولستوي و نيتشة"،بدأ في اجتماعات مع صديقه و زميل الدراسة الفنان أندريه ماصون الذي جمع بعض الأصدقاء في مرسمه بشارع بلومِتْ ومنهم ميشيل ليريس،للتفكير في الكيفية التي يمكن بها مواجهة السريالية،لكنه بعد فترة قصيرة عاد للغرق أكثر في الليل و الكحول،يتخلى ببراعة عن كل أفكاره و مشاريعه في اللحظة التي يكون فيها مع عاهرة جديدة،ولم يعرف ابدا كيف يتجنب أماكن العري،تفوقه الفكري كان سببا في ساديته و بحثه عن المتعة بكل طريقة،لم يجد باتاي وهو مع الجمهور حول حلبة مصارعة الثيران أي شبه بينه وبين جرانيرو،باتاي كان يبتسم كلما تذكر كيف وجد ذلك التشابه الذي لا يوصف بينه و بين الثور الشامخ بقرونه في وسط الحلبة.

الرحيل كان يعني الكثير بالنسبة لباتاي،بسبب حالة الضياع التي لم يعد في مقدوره السيطرة عليها،أصبح السفر ضرورة ملحة،الخروج من كل شيء و إغلاق الباب خلفه ظهر وكأنه العمل الوحيد القادر على إنقاذه من نفسه،ليس له علاقة حميمة مع أي شيء،كان يود التخلص من الماضي،يود العيش بخطه يضعها النسيان كآخر عمل متقن له،حاول الكتابة عن بروست و هو يعاني من هذه الحالة،أراد أن يتغلب على الذاكرة الطوعية التي كرّس بروست لها كل عمله الأدبي،لكن الذاكرة التي تتغذى على رغبة التخلص منها لا يمكن التغلب عليها بسهولة،المسافة في هذه الذاكرة لا تسير إلى الوراء،بل تسير إلى الأمام مع التجربة اليومية،وعرف باتاي من خلال الكتابة عن بروست أن لا شيء قادر على أن يجرفك خارج هذه المسافة،لا يمكن محو مكان وقوفك في التجربة وهذا ما يعطي الذاكرة رسوخها الأبدي،عليك أن تستخدم يدك لصنع ذاكرة موازية،ويدك يجب أن تكون لينة و ماهرة لتحقيق هذه الرغبة،كان الأمر صعب مع بروست،ومستحيلا و مرعبا مع نيتشة،العمل في دار الكتب الوطنية زاد من

مشاكله النفسية،شعر أنه محروم من العالم،لا أحد يعرف لماذا اختار باتاي العمل في مكتبة،فهذه الوظيفة بعيدة كل البعد عن طبيعته و عن تقلبات مزاجه الفظيعة،عمل باتاي في دار الكتب الوطنية بباريس كان غامضا و لا أحد يعرف شيء عنه كموظف،كانت لديه مشاريع سفر كثيرة،السفر يجعله أكثر استقرارا و حرية،وجوده في باريس كان هشا و يجلب القلق و القسوة،لقد تعلم من شيستوف أن لا ينظر إلى نفسه إلا بحزن،وتعلم منه أن عنف الأفكار البشرية ليس سوى شعلة هذه الأفكار نفسها،حتى عندما قطع باتاي علاقته بشيستوف في منتصف 1920م كان ينجرف إلى الماركسية بالطريقة التي يفضلها شيستوف نفسه،ولم يتخلص ابدا من تأثيره القوي عليه،قال شيستوف ذات مرة:**"الفلسفة وجدت لإزعاج الناس و ليس لطمأنتهم"**،وهذا ربما أكثر ما كان يعجب باتاي في الفلسفة،كان شيستوف يهودي روسي وهو كغيره أحد ضحايا ثورة 1917م،خرج هاربا من الموت و عاش في المنفى،عاش فترة في فرايبورغ الألمانية عام 1910م ثم في سويسرا،و استقر ومات في فرنسا،لا يعترف شيستوف بالمثالية الميؤوس منها،يعترف فقط بنضال الإنسان لتحقيق ذاته روحيا من خلال عدم جعل اليأس هو الكلمة الأخيرة،بل ما قبل الأخيرة،وعاش يقاوم الميول الانتحارية في قرن عرف الفظاعة بكل أنواعها،كان إنجراف باتاي للماركسية يظهر في رفضه لها،وهذا لا يتعلق فقط بالماركسية،بل بالدادا و السريالية وغيرها،لم يستطع أحد الوصول إلى فهم جذري لمعنى رأس المال كما فعل باتاي،كيف لا وهو من أكد أن رأس المال يتراكم عن طريق التضحية،هذه التضحية تتطلب طقوس الاستثمار و المنافسة،لقد فهم أن الأقتصاد الغربي ينفق من خلال التضحية بالإنسان،إلى أن يصل إلى لحظة ينفق نفسه فيها،وهذا هو ما نسميه عصر الإستهلاك،لم يتبنى باتاي الماركسية كعقيدة ولا كفكرة،بل كمكان نذهب إليه كل مساء عبر شوارع مقفرة و قليلة الإضاءة و تزحف فيها دوامات من الغبار،لكن لا نتوقف عن التردد عليه،لأننا نحبه ونتعاطف مع النادلة الوحيدة التي تعمل فيه،لم تكن دورة الحياة الثقافية الخاصة بباتاي قد اكتملت،مشاريع السفر كانت تغذي هذه الدورة بما يلزمها من تجربة لتكتمل.

منطقة "التبت" تشبه كلام رولان بارت عن اللغة:**"التقاء السماء و الأرض الذي يشكل للإنسان موطنا أليفا"**،باتاي الذي اطلع على كتاب "راجا يوجا" أسرته فكرة التنوير المفاجئ في البوذية،قبول اللحظة الراهنة،هو في الحقيقة قبول للعالم كما هو،لا ماضي،ولا مستقبل،رغبة في العيش دون سؤال،دون تفاؤل أو تشائم،ودون إزعاج من الفلسفة،لقد مر تأثير الفلسفة الهندية من شوبنهاور إلى نيتشة،ومنهما إلى باتاي،فلسفة الخوف على البشرية من خيبة الأمل،تكرار كل شيء إلى الأبد،دون غرض أو غاية،إنها فلسفة تقوم على مقولة:**"كن هنا و الآن"**،لهذا لا تعتمد على العقل لأنه لن يكون هنا و الآن،في هذه الفلسفة يتم سحب البساط من تحت قدمي المنطق،باتاي قال:**"أنا أعيش من خلال التجربة الملموسة و ليس من التفسير المنطقي"**،باتاي لا يرغب و لا يستطيع تقديم تنازلات من أي نوع،لهذا أراد السفر إلى التبت،ليجد مكانا أليفا تصل فيه الحياة في موعدها،وتماشيا مع الإيقاع الأنثروبولوجي لتلك الفترة أراد السفر إلى مصر،كان باتاي يفكر في تبادل العنف،تبادل العدوان مع أصدقاءه قبل أعداءه،وتبادل أسلوب الحياة مع ثقافات أخرى ترفض أو تقبل هذا العنف،مصر كانت دائما عشق وهوى فرنسي،لكنها كانت في المتخيل الفرنسي موضوع بحث في تاريخ طريف،باتاي كان متسلحا بأنثروبولوجيا لا تشعر بالحرج من الأخطاء،ولا من السؤال لماذا يستعمل الإنسان اليد اليمنى تلقائيا،كانت الأنثروبولوجيا تجذب باتاي إليها بقوة و دون هوادة،كان ينظر إلى الحضارة بعين جرانيرو و قرن الثور مغروز فيها،كان يريد الغوص في مجتمعات لا فرق فيها بين الماضي و المستقبل،مجتمعات مفهوم الزمن فيها يتحدى فهمنا لكل تاريخنا،التغيير في هذه المجتمعات موضوع دنس لا طهارة فيه،كان يريد دفع باب الصين،روسيا،امريكا،باتاي أراد التوسع خارج حدود باتاي،لكن هذا لم يحدث خارج باريس بل داخلها،بدأت مهارة اليد تكشف حدود الاغتراب عنده بخط جامح على ظهر المظاريف،على قصاصات الورق،حروف صامتة يتداخل بعضها في بعض ومكتوبة على عجل،باتاي لم يكن كغيره حذرا من تناقضات اللغة و قدرتها على تدمير العقل،كان مدركا لعدم قدرته أن يكون في الهنا و الآن،و أنه لن يقبض

على العالم كما هو في لحظته الراهنة إلا في داخل هذا التناقض المريع،ولن يكون في مقدوره قول أن العالم لا معنى له،و أن العالم مضحك بسبب سخافته،لأن الإنسان كان يرى دائما هذه الحقيقة لكن بطريقة غير شفافة.

في عام 1924م قام جاك لفوود بتنسيق لقاء بين باتاي و ميشيل ليريس،وضع لفوود أمال كبيرة على هذا اللقاء الذي سيربط بين هاذين الرجلين إلى نهاية العمر،امتزج الإعجاب مع الخوف و العدوان المتبادل في هذا اللقاء،لكنه تحول إلى صداقة و علاقة قوية،كان ليريس في الثالثة و العشرين من عمره،رقيق بعض الشيء و لا تخلو شخصيته من رومانسية عصره و بعض العصبية،باتاي في السابعة و العشرين،وسيم و ساخر و لا تخلو شخصيته من بعض العجرفة،يجمع الرجلين الأناقة في المظهر،باتاي دائما أنيق و يظهر بمظهر البرجوازي من ناحية هندامه،كان اللقاء ناجحا بكل المقاييس،تحدث باتاي مع لفوود و ليريس عن تأسيس حركة أدبية جديدة،ومجلة يقال فيها نعم لكل ما قالت له الدادا لا،مجلة يكون مقرها في بيت للدعارة أو قريبة من شارع بورت سان دوني حيث بنات الليل قد يقدمن أكبر اسهام في الحركة الجديدة و المجلة،باتاي صاحب الاقتراح كان هو نفسه من بعث قبل فترة وجيزة رسالة إلى صديقته ومساعدته النفسية كوليت رينيه يطلب فيها النجدة من عاهرة كان يتردد عليها و تستخدم معه العنف و هو يتعامل معها بنفس الطريقة،نصحته كوليت بعدم التردد على امرأة واحدة لأن هذا خطير،في هذه الفترة كان باتاي و صديقه الأنثروبولوجي ميتروكس مثالا جيدا للسمعة السيئة،كحول،قمار،دور الدعارة بكل أشكالها و أنواعها،بحث عن متعة فريدة،و عدوانية غير مبررة،لم يكتب لهذه الحركة الظهور،لكن باتاي لم يتوقف عن التردد على مرسم أندريه ماصون حتى في أقصى فترات مجونه،في هذا المرسم اكتشف باتاي المركيز دو ساد،واكتشف مع ساد أن المرأة ألم لذيذ،المرأة التي لا تكون في حياتك بسبب الصدفة أو المصلحة،هي وحدها المرأة التي يتم معها تبادل المخاوف و الأسف،باتاي نظر إلى دو ساد بطريقة ذكية و غير متحيزة،نظرة بعيدة عن الاخطاء المبتذلة التي يرتكبها الآخرون في حق ساد،عندما يكتب دو ساد بطريقة تظهر أن الرقة و الوداعة و الباقة ليس لها علاقة

بالمتعة،فهو يكشف السر و يقول أن لا شيء يمكن إخفاءه،لم يعد هناك صندوق أسود نضع فيه انحرافاتنا و نزواتنا الصغيرة،تحويل جزء من المعرفة إلى سر هو خيانة للحقيقة و للمعرفة،**"إذا كنت تريد أن تعرف عن نفسك كل شيء،فعليك أن تكشف كل شيء"**،معرفة كل شيء و أي شيء بالنسبة لباتاي هي اللامعرفة أو بمعنى أكثر دقة متعة اللامعرفة،الكلمات بين جسدك و جسد الآخر هي فائض اللغة،وحشيتها،فوضويتها،هنا اللغة لا تسيطر على الآثار التي تتركها وراءها،هذه الآثار يجب أن تشبه حروف باتاي على ظهر المظاريف.

في شارع بلومِتْ كان باتاي ينظر إلى كوب الماء أمامه وهو يسمع كلمات الأصدقاء،من وجهة نظر باتاي هذه المجموعة كانت بعيدة عن الحقل المغناطيسي للسريالية،في هذا الوقت و في شارع فونتين_الموطن الأصلي للسريالية_كان أندريه بريتون يجلس مع لويس أرغون،برتولد بريخت ،فيليب سوبولت،ماكس إرنست،بنيامين بيرت،رينيه سيرفال يناقشون كلمات لوتريامون الذي قال عام 1870م:**"في هذه اللحظة التي أكتب فيها،هناك هزات عنيفة تعصف بالجو الفكري،وكل ما نحتاجه هو أن يكون لدينا الشجاعة لمواجهتها"**،لوتريامون هو من أحدث أكبر هزة عصفت بالأدب،وكأنه كان يتحدث عن نفسه،لقد استيقظ النثر مع لوتريامون من قيلولة بعد الظهر،وتحول إلى نوع من السحر يعجز الشعر عن الوصول إليه،بل إن الشعر سعى بكل جهد ليجد له مكانا في إطار النثر،لوتريامون الذي وضع نفسه في حالة تأهب لتقبل كل ما حوله كمادة أدبية،وعلم الجميع أن أوراقك يجب أن تكون حيث توجد أفكارك،هو الملهم لكل سريالي أراد أن يكون التغيير جذريا و هائلا و يلمع في وسط النهار،السريالية حركة قائمة على مزيج من الضحك و اللعب و المثابرة،ما كان يثير رعب السريالية هو الحرب،و العقلانية المبتذلة،و المنطق الذي يثقل كاهل الحياة و يسحق الناس،ميدان السريالية ليس ميدان العقل،لهذا كان تأسيس الحركة في حديقة لوتريامون و رامبو،حديقة تتكلم عن مخيلة الأفعال و ليس التنقل في الاستعارة،حديقة مفتوحة على الخيال الذي يسير ببطء و بقدر كبير من الروعة،خيال يعتبر الطبيعة مكان للعب و العمل،ما كان للسريالية أن تقوم كحركة إلا بعد أن أعلن أندريه بريتون عام

1922م :"**أن الدادا ماتت و دفنت و أنه لا توجد أي نية لإحيائها،لقد أغمضت الدادا عينيها"**،وتحول تزارا على يد بريتون إلى مجرد يهودي و شاعر لا يكتب الشعر،بل البيانات فقط،حاول تزارا الرد بتنظيم عمل مسرحي على خشبة مسرح ميشال في باريس،لكن الأمر انتهى بمعركة فوق خشبة المسرح،و الحقيقة أن السريالية لم تكن تخلو من السطحية و المثالية المفرطة في بعض جوانبها،اضف إلى ذلك وقوعها في شباك فرويد،وهذا ما جعل كل سريالي يعتقد أنه يمكن الاستفادة من النوم،أصبح الحلم هو الطريق إلى سر الحياة.

مع الوقت انتقل كل من في شارع بلومِتْ إلى شارع فونتين دون علم باتاي،وهذا ما اعتبره باتاي خيانة له وسط أسباب غير واضحة و مشوشة،خاصة و أن السريالية كانت ذات طبيعة طائفية و سرية،شعر باتاي بأنه مستبعد و منبوذ،و كان الاستبعاد مؤلم أكثر إذا كان السبب هو أنه إلى عام 1925م لم يكتب شيئا يستحق الذكر،كان باتاي ضد الدادا و بعدها السريالية،لأنها تنحاز إلى العدمية السلبية،أما هو فكان ينحاز إلى العدمية الإيجابية،عدمية النشوة كما يفهمها هو،لكن ليريس في نهاية الأمر استطاع أن يجمع باتاي و بريتون في شرفة مقهى سيرانو،كان بريتون شخص ذو جاذبية بالنسبة لبعض الناس،لكن بالنسبة لباتاي كان خانقا،و باتاي كان مجنونا بطريقة رائعة بالنسبة لبعض الناس،لكن بالنسبة لبريتون كان شخصا مهووسا،جرى بينهما ناقش يدل على النرجسية و الغيرة لم ينتهي ابدا،لقد كانت هذه الجلسة بداية لسوء تفاهم طويل و مرير،باتاي ليس الشخص الذي تأثر فيه هالة بريتون،لقد شعر بريتون بالنقص أمام باتاي،كتب باتاي بعد هذه الجلسة WC أو المرحاض،وهي رواية فيها معارضة لأي شكل من أشكال الذوق،لكنه أثبت من خلالها مثالية بريتون،تم تدمير المخطوط،إلا أن فصول منها قد نشرت في وقت لاحق تحت اسم مستعار،لم تكن WC سوى رد على ذكرى قول أبوه للطبيب:"**أخبرني عندما تنتهي من مضاجعة زوجتي"**،وبسبب هذه الرواية تم نصح باتاي بالتردد على طبيب نفسي،تابع باتاي العلاج عند الدكتور أدريان بوريل وهو الطبيب النفسي للفنانين و الكتَّاب،فقد

عالج ريمون كينو،و ميشيل ليريس و غيرهم ،فقد كان التردد على طبيب نفسي موضة ذلك العصر،تحسن باتاي كثيرا،وتحول من شخص خطير و غير مستقر نفسيا إلى شخص غامض فقط،كان باتاي قد اطلع على كتابات فرويد عام 1923م وهذا ساعد دكتور بوريل كثيرا،لكن احتفظ باتاي بعنفه لمواجهة السريالية،وهاجمها كحركة مثالية مشوبة بشيء من السطحية،وفي نفس الوقت قدم باتاي من خلال كتابته"فتحة الشرج الشمسية" عام 1927م،و "إصبع القدم الكبيرة"،و "لغة الأزهار"لبريتون وجماعته فرصة للرد عليه بقوة،قال بريتون في معرض رده على عليه:**"باتاي فيلسوف الغائط،إنه شخص لديه ذبابة على أنفه تجعله أقرب إلى الموت منه إلى الحياة"**،لكن سلفادور دالي السريالي رد على بريتون بوضعه لطخة من الغائط على الملابس الداخلية للرجل الصغير في الطرف الإيمن من لوحة "لعبة حدادي"،لقد فهم دالي أن باتاي كان يريد أن يقول:**"لحظة التواجد في الحمام،لحظة الاهتزاز العنيف بسبب القذف،لحظة الموت و الأنفاس الأخيرة القوية،هي لحظات العزلة الرائعة،لا ديكارت،و لا داروين،و لا هيجل استطاع فهمها بشكل صحيح،هؤلاء يتحدثون عن إنسان يعرف نفسه و لا يعرف جسده."**

"فتحة الشرج للطاقة الشمسية"،ليست أبدا عن الشمس كفتحة شرج،إنها حكاية عن الكون و الأساطير،لكنها بطريقة ساد في الكتابة،إنها تحيل إلى ما هو أبعد من الكلمات المكتوبة على الصفحة،كأن باتاي أرد أن يقول لبريتون:هل تريد أن تعرف ما هي الكتابة السريالية؟هل تريد الضحك،اللعب،المثابرة،تفضل ها هي أمامك،كان باتاي يكتب نصوصا سريالية بأكثر براعة من السرياليين أنفسهم،كان يكتب ذكرياته الشخصية،لكن لا أحد يستطيع التعرف على هذه الذكريات غيره،يسخر من التحليل النفسي،ومن الفلسفة غير المزعجة،من أحلام السريالية الهزيلة،ظهرت السريالية في نقده كمجرد استراتيجية طريفة و مقعدة للمعارضة،لقد قلب نظرة البرجوازية العقيمة،كان يقول الشمس الفاسدة،ليقول الملك الفاسد،يقول العين،ليقول العقل،يقول الذباب،ليقول الروح،يقول البراز،ليقول الأفكار في رأس البرجوازي،لقد استفاد باتاي من القاموس الهرمي

لجسم الإنسان في القرون الوسطى،بنفس الطريقة التي استفاد بها السرياليين من الأحلام،ومع ذلك مازالت نصوص باتاي صعبة،لقد أصبحت يده لينة جدا،و ماهرة بطريقة مفجعة،لم تعد ترسم مجرد خطوط على ظهر المظاريف،لا،لقد ذهب إلى حيث الكتابة تجد نفسها،ما يميز خطوط باتاي هو أنها لا تمل و لا تكل من سؤال نفسها،عن جوهر الإنسان،جوهر الكتابة،إنها إثارة نادرة للفلسفة عن طريق خط اليد،إثارة تجعل من اللغة أعجوبة،وتجعل من كل شيء حولك سؤال موجه إليك،إنها تضحك من الموت في سلبيته،وتبكي من الحياة في إيجابيتها الغائبة،إنها كتابة ليست حريصة على إخفاء الإنسان في شفافيتها،بل حريصة على إظهار الإنسان في الطابع السميك و الدرامي للموت،هناك دائما فائض من الدموع،ومعها فائض من الضحكات العالية التي تستحق الكتابة،الكتابة بالنسبة لباتاي لا تحافظ على الهوية،لا تنقذ أحد من الحرب،بل تحاول الحفاظ على الجانب الآخر منا عندما يضيع الجانب الأول في وسط دخان الدمار،هناك نسمع صوتها،هناك حيث يتردد صدى ضحك جوزيف الهستيري،وأنين ماري انطوانيت المكتوم،إنها إعادة صياغة للسر الذي يعذبنا،إعادة صياغة للفضيحة،للذنب،للاعتراف،وكل ما مصنوع من الإدعاء و التظاهر و الكذب،هذه كتابة تزيد من جودة الأخطاء،تزيد من جودة التفاصيل اليومية،لكنها لا تحاول أن تزيد من جودة الواقع،باتاي يكره الكتابة عندما تكون و ظيفتها الأسف،الكتابة يجب أن لا تتستر على نفسها،ولا على التبادل الحميم و غير المعلن للأرق.

على ضفاف النهر حيث من المفترض أن تكون الصدفة جاهزة،قابل باتاي سليفيا ماكليس،كان اللقاء في بيت صديقه ريمون كينو في نهاية عام 1927م،و تزوجها في 20 مارس 1928م،الشاهد على الزواج كان صديقه المقرب ميشيل ليريس،سليفيا من عائلة يهودية رومانية،عائلة غريبة الأطوار،عرفت هذه العائلة مغامرات روحية و فكرية و جنسية كثيرة،تركت سليفيا دراسة الطب لتكون ممثلة،أحبها زوج أختها وكاد أن يقتل باتاي بسبب غيرته،أخوات سيلفيا الثلاثة بيانكا،روز، سيمون كن متزوجات من أصدقاء باتاي،ثيودور فرانكل،أندريه ماصون،و جان فال،هذا الزواج لم يكن الزواج الذي فكر فيه باتاي أثناء حياة

الرهبانية و الزهد،لم تكن سيلفيا تشبه ماري ابنة الطبيب،و لا باتاي هو الراهب القديم،كان باتاي أثناء تنقله مع سيلفيا من مكان إلى آخر يتوق إلى حياته السابقة،وقد عاد إلى حياة الليل بمجرد عودته إلى باريس،العاهرات،الكحول،القمار،وعلب الليل الصغيرة،الزواج عمل بطولي يحتاج إلى الكثير من النفاق،انتظار موعد الغداء،التوسل لطلب العفو بسبب تأخير بسيط عن موعد العشاء،الاستماع إلى التفاهات اليومية باهتمام،كل هذه الاشياء وغيرها جعلت باتاي يرفض الحياة الزوجية لأنها لا تنطوي على شيء يخصه،كانت كلمة زواج بالنسبة لسارتر كلمة خالية من التفكير،لكنه استمر في علاقته مع سيمون دي بوفوار لمدة تصل إلى خمسين عاما،بوفوار نفسها قالت:**"وجدت نفسي في علاقة حب مع رجل مضحك المنظر"**،سارتر قبيح الشكل لكن لديه قدرة على الحوار و قول الكثير من الكلام النبيل و المجامل،الحوار وحده رفع العلاقة بين سارتر و سيمون إلى مستوى عال من الإبداع،أما زواج سليفيا و باتاي فلم يخلق لغة جديدة،ولم يتمكن من خلق حياة غير منقحة بشكل جيد،في عام 1934م سقط الزواج،وسقطت معه محاولة باتاي جعل الفوضى صالحة للاستعمال،لم تكن لدى باتاي مهارة سارتر،ولم تكن لدى سيلفيا الصلابة المعروفة عن دي بفوار،اللفتة الوحيدة المهمة في هذا الزواج هي لورنس الابنة الوحيدة لباتاي و سيلفيا،لورنس كانت محاولة لتوسيع المعنى العائلي،لكن لم يكن هناك الدعم الكافي لدى كل الاطراف لهذا المعنى،تركت سليفيا باتاي لتدخل في علاقة مع جاك لاكان الطبيب النفسي و صديق باتاي،لاكان رحب بلورنس كابنة له،فقد عاش يتيما و جاءت الفرصة لمساعدة شخص سيقف يوما ما في زاوية كئيبة و ينظر إلى الفراغ.

في الفترة التي تعرف فيها باتاي على سيلفيا كان يعيش حالة من العنف الخام،لم يكن قادرا على الكتابة،كانت الفوضى عارمة،تحرك في مجالات و حقول كثيرة،من علم الآثار إلى الاثنوغرافيا،من علم الجمال إلى الاقتصاد،لم يشعر بأنه في حاجة إلى النشوة كي يكتب،فستعان بحروف مضاءة بذكاء حاد،كان لديه الأسلوب و الأفكار،لكن الكتابة هي صوت الصمت،كيف لشخص عنيف و ينظر

إلى كل ما حوله باشمئزاز أن تكون للصمت فاعلية أكثر مكرا من الصراخ في كتاباته؟باتاي جعل الكتابة في كل المجالات مجرد فضفضة حميمة،كتابة مرعبة و فيها الكثير من الجمال العنيد،الكتابة لا تعرف المواجهة الملتوية،ولهذا لا يحتاج باتاي أن يصلح لسانه وهو يكتب،و لم يفكر باتاي في الكتابة كمكان يتجنب فيه الجحيم،بل وجد في جحيم الكتابة الكثير من الإثارة و التشويق،خرج باتاي إلى العلن في عام 1928م من خلال مقالة قصيرة عن حضارة الأزتيك،كانت معلومات باتاي عن أمريكا ما قبل كولومبس قليلة،لكنه استعان ببعض المراجع،أهم هذه المراجع كتابات برناردينو دي ساهاجون حول التاريخ العام للأشياء في اسبانيا الجديدة،و بعض الكتب حول تاريخ فتح المكسيك و فتح البيرو،لم يكن باتاي مؤرخ و لا اثنوغرافي،لا فيلسوف و لا عالم اجتماع،كان يمزج نيتشة مع هيجل،فرويد مع موس،و ساد مع تجربته الشخصية لخلق فكر جديد و نظرة جديدة للثقافة،كانت حضارة الأزتيك تختلف عن حضارة المايا و الأنكا،حضارة الأزتيك أكثر وحشية،والمجتمع في هذه الحضارة ارستقراطي بشكل واضح،ما لفت نظر باتاي هو بشاعة المنحوتات التي تمثل الآلهة في هذه الحضارة،و ما شغله أكثر من غيره هو طقوس تقديم الأضحية البشرية،ونزع قلب الأضحية وتقديمه للشمس كغذاء،ارتباط المقدس بالعنف و نموذج الحرية المتطرفة التي يمتلكها العنف المقدس،وعلاقة المقدس بالعنف الفكري هي الموضوعات التي سيهتم بها باتاي في مراحل أخرى من حياته،نشر باتاي بعد ذلك مقالة بعنوان "أمريكا المفقودة"،في دفاتر جمهورية العلوم و الفنون،و أكمل كتابه "قصة العين" وهو نص مكتوب على خلفية حادثة جرانيرو في اسبانيا،نشر هذا النص بشكل سري وتحت اسم مستعار هو اللورد أوش،ورسم أندريه ماصون ليتوغرافيات خاصة بهذا النص لم يوقعها باسمه،لم يباع من هذه الطبعة الأولى سوى 134 نسخة،كانت أفكار باتاي تعارض الأفكار النخبوية المهيمنة في تلك الفترة،كان يسير وحده ضد التوجه العام للاستعراض السريالي،وضد كل الصرح المفاهيمي للأفكار المثالية.

في عام 1929م كان الصراع بين باتاي و بريتون في ذروته،وانضم إلى باتاي مجموعة من السرياليين المنشقين عن بريتون وهم :جورج ليمبور،جاك أندريه بوافار،روجيه فيتراك،روبرت دسنوس،ميشيل ليريس،و وجد باتاي المطبوعة المناسبة لأعمال هؤلاء وغيرهم من القيمين على المتاحف و المكتبات،إنها مجلة وثائق التي حلت محل مجلة أريستوزا،ظهرت هذه المجلة بتمويل من جورج ولدنستاين،و إدارة كارل إنشتاين و باتاي هو الكاتب العام لها و صاحب الكلمة الأخيرة فيها،هذا غير الرسومات التوضيحية التي زينة صفحات المجلة وشارك فيها جياكوميتي،ليجي ميرو،دالي،آرب،جريس،دي كريكو،براك وغيرهم،كتب باتاي مقالا في كل عدد من أعداد وثائق،ما يميز مجموعة وثائق هو قاموسهم الخاص،قاموس يهدد النظام الثقافي و السياسي القائم،قاموس لا يهتم بمعنى الكلمة،بل بالمهمة التي تقوم بها هذا المعنى في النص،و بالكيفية التي تتغير بها الكلمة من خلال الاقتراب من كلمة أخرى،مجلة وثائق بقاموسها الخاص و الفريد كانت ساحة الحرب المناسبة ضد السريالية،لم يدعي باتاي أنه فيلسوف أو كاتب،لكنه كان رجل العالم الداخلي،رجل الاعتراف بالانحراف الإنساني،فضح الإنسان و أشار بنصوصه إليه قائلا:هذا حيوان كوميدي مخيف،تشبه صورته الداخلية صور منحوتات الأزتيك المرعبة،يقول باتاي في فتحة الشرج الشمسية:**"العالم ما هو إلا محاكاة ساخرة،الرصاص محاكاة ساخرة للذهب،الهواء محاكاة ساخرة للماء،العقل محاكاة ساخرة للاستواء،المضاجعة محاكاة ساخرة للجريمة"**،لم يفكر أحد في أن حركة دوران الأرض هي نفسها حركة حجر الفلاسفة،و أن كل شيء يتحرك ليبتعد عن مكانه،بحثا عن النسيان،و اكتشاف اللامبالاة،لكن_وهنا تكمن السخرية_كل شيء يعود إلى مكانه بنفس الحركة التي ابتعد بها،باتاي فكر في كل ذلك بحزن،من "فتحة الشرج الشمسية"،إلى**"قيمة D.A.F الماركيز دوساد الاستعمالية"،مرورا بمقالات مثل"لغة الأزهار"**،"المادية"،"إصبع القدم الكبيرة"،"لعبة الحزين"،"السوبرمان و السريالية"،"قاعدة المادية و الغنوصية"،انحرافات الطبيعة"،"شمس فاسدة"،"الفم"،"قربان البتر و أذن فان جوخ المقطوعة"،"العين الصنوبرية"،كان

باتاي في كل هذه المقالات يتكلم عن العالم و الإنسان بكثير من الإعجاب و السخرية،و الكثير من البكاء و الضحك.

في الإعجاب بمتعة الوقوف وسط كرنفال الحياة،في الرعب من نزوات الصدفة الوحشية،ينتصب الإنسان كمحور عمودي،و الطبيعة كمحور أفقي،و الشمس تقف هناك بعيدا كوحش ينتظر سكين الكهنة ليقدم له الغذاء المناسب،قلب الإنسان،باتاي غاضب و يقف منتصب في وجه الأفكار التي تشتت الناس عن حقيقة وجودهم،هذه الأفكار محبطة،لهذا علينا استخدام بعض الوقاحة في مواجهتها،وعندما يتهمه بريتون بالتواطؤ مع عالم قذر،خرف،دنيء،وسفيه،يرد باتاي قائلا:**"بريتون هو المثالية الدينية القديمة بوجه سوريالي"**،لقد فضح باتاي بريتون و السريالية في مقال بعنوان "الأسد المخصي"،نشر المقال في كتب جماعي بعنوان جثة،فضح باتاي السريالية لأنها مجرد دين جديد يهرب إلى أمام من واقع قذر،لكنه لا يساعد في الدفاع عن النفس أمام الموت،وقوف الإنسان على قدميه يجذب الجسم كله إلى مستوى أعلى،الموت حالة أفقية ضد هذا الوقوف و للرد عليه يجب استخدام وسائل و أساليب وحشية،كان الأدب قبل باتاي أرق من أن يستخدم مثل هذه الأساليب،هو من فتح الباب على قاموس غاضب يدفعنا لقبول اليأس كمحاكاة لحياة خصبة و لا وجود فيها لحسرة غير مجدية،حتى الشمس التي تجلس هناك في قمة التسلسل الهرمي تعرف الموت بطريقة وحشية،الإنسان الفرد قادر على الرد من خلال لحظات فريدة في الزمان و المكان،لحظات من الضحك و السخرية الطاعنة في مرارتها،الإنسان المثالي غير قادر على فعل ذلك،إنسان التصوف،إنسان الانحرافات الطبيعية،إنسان يستوعب النهيق المزعج و الوقح،إنسان غير متجانس مع العالم و يرفض تأسيس عالم على أساس من التجانس،وحده قادر على أن يقف في مساحة من فائض المعنى،يكشف عن شكل من الوجود لا يتلائم مع أشكال أخرى،يكشف عن حدود متغيرة للكلمات و الأشياء،باتاي لم يتوقف عن قول أن الرغبة لا تقبل التجانس،الرغبة عملية تدميرية لا تقبل التجانس إلا مع خيالها الفريد،كان بريتون منزعج من لوحات أندريه ماصون القريبة من كلمات باتاي،ومن سعي أرتو خلف مسرح القسوة،ومن

التقارب بين هؤلاء و باتاي،لقد ظهر الحجم الدقيق لمخاوف بريتون مع الإهتمام الواضح في الأوساط الثقافية بكتابات باتاي،لم يكن باتاي غريب عن نفسه،و لم ينظر إلى الأدب و الفن بغنائية مفرطة كما تفعل السريالية،لقد كانت غنائية السريالية تفتقد إلى لحظة أصيلة من لحظات جنون باتاي.

في 15 يناير 1930م توفيت والدة باتاي،ماري أنطوانيت ممدة على الفراش،جسدها يشبه الاحتجاج على العالم،على جورج،على جوزيف،و على كل الكذب الحميم الذي ارغمتها عليه الحياة،لم يعد هناك شعور بالألم أو الحيرة،لا يأس يجعل العالم يظهر بصورة سلبية،و لا أمل يجعل خيبة العالم تظهر بوضوح مدوي،باتاي معها في الغرفة،جالس على طرف السرير،اختفى صوت والده و هو يقول:**"أيها الطبيب أخبرني عندما تنتهي من مضاجعة زوجتي"**،كل شيء انتهى الآن،وجهها غريب،لم ينظر إليه باتاي من قبل كما ينظر إليه الآن،كانت تتكلم و هي ميتة أكثر مما كانت تتكلم و هي حية،سيلفيا في الغرفة المجاورة،تعاني من ركلات لورنس في بطنها،لم تأثر لا ماري أنطونيت،و لا سيلفيا و لا أي امرأة في بتاي كما أثرت فيه امرأة كانت في هذا الوقت بالذات تركب القطار في طريقها إلى روسيا،هذه المرأة تدعى كوليت لور لوسيان بينو،تاريخ ميلاد كوليت في 8 أكتوبر 1903م،في ضاحية ميدون القريبة من باريس،في بيت بالقرب من مصحة سانت آن للأمراض النفسية،عائلتها تنتمي للطبقة البرجوازية و تعمل في مجال الصناعة،كان لدى والدها مسبك يتم فيه صب حروف الطباعة،مات والد كوليت و أعمامها الثلاثة في الحرب ما بين عامي 1914م و 1916م،عاشت حياة أسرية محافظة و صارمة،لم يكن في وسع كوليت التحدث مع الأطفال أو حتى قول مرحبا لأحد الخدم،كانت تجلس وحدها في الغرفة لفترات طويلة،تقول كوليت عن طفولتها:**"لم يكن لدي أصدقاء،فقط شباك الغرفة بزجاجه الملون هو الاتصال الوحيد بالعالم الخارجي،كنت أحكي قصصا لنفسي،و حكايات كثيرة لدميتي،الحياة في بيتنا كانت خانقة،وهذا ما جعلني أرفضها"**،لقد تعلمت الصمت من نباتات الحديقة،تعلمت فن الضوضاء من حكايتها مع دميتها و هي تغسلها

بالماء،كانت الدمية صديقتها الوحيدة الصامتة دائما،لكن كوليت تعلمت منها الكلام،تحولت أمها إلى وحش بلا قلب و متعصب في غياب ذكور العائلة،كافحت الأم بشراسة للحفاظ على البيت و الحدائق المحيطة به بعد وفاة زوجها،كانت تريد الحفاظ على مظهر العائلة البرجوازي بأي طريقة،كاهن العائلة كان يعتدي جنسيا على كوليت و أختها مادلين،كنت تخاف منه و تحاول نسيان انتهاك طفولتها،في مرحلة البلوغ كفرت كوليت بالدين،و بخلفيتها البرجوازية،و في شبابها أصبحت ماركسية.

تعرفت كوليت على الشاعر،والصحفي،و السياسي جان برنييه عن طريق لدْغِوه لاروشيل صديق العائلة،وصديق بوريس سوفارين الهارب من جحيم ستالين و مؤسس الحزب الشيوعي الفرنسي،ورئيس تحرير صحيفة "الناقد الاجتماعي"،حدث التعارف أثناء حفل عشاء بمنطقة غارش عام 1926م،وتجدد اللقاء في عدة معارض و أمسيات للحركة السريالية في باريس،كان عمر كوليت ثلاثة وعشرين عاما عندما دخلت في علاقة مع برنييه و هو في خضم علاقة مع امرأة أخرى،كوليت كانت مغرية و تشبه الرنين في الأذن،ثورية،و موهوبة،وهذا ما يجعلها أكثر جدارة بالاهتمام،تشعر أنها تحتقر كل شيء،وأنها منسحبة من العالم،ثم في لحظة تسمعها كلحن رقيق يخرج من اللامكان ليثير ما حوله،تذهب إلى نقطة فريدة في كل شيء،في الحياة اليومية،في الرجال،في فهم الثورة،تعيش في فائض الحياة الذي يتغير باستمرار،كوليت ليست المرأة الصامتة و الباردة التي تنتظر أن يحركها خيال الرجال،بل خيالها يظهر بطريقة أو بأخرى ليحرك كل شيء من حوله،و تقاوم بلا هوادة كل ما يعرقل سيرها باتجاه الحب،وهذا ما جعلها في أبريل 1927م تنفصل نهائيا عن أسرتها و تذهب إلى كورسيكا خلف جان برنييه،وعندما وصلت و وقفت أمامه قال بكل هدوء:**"أنا لا أريدك،عليكِ أن ترحلي من هنا"**،لم تأسف كوليت على برنييه،بل على نفسها،لهذا وجهة فوهة المسدس إلى صدرها هي و ليس إلى صدره،لم تصل الرصاصة إلى قلبها،كسرت بعض الضلوع و توقفت عند حافة كانت تقف بينها و بين العالم،محاولة انتحار كوليت يشبه الغناء الجماعي،إنه انتحار يجب أن نستمع إليه لأنه صوت حركة

بناء لتاريخ الحب،تاريخ التضحية،تاريخ السكين و القلب الذي تتغذى عليه الشمس،كانت كوليت بسبب تربيتها الكاثوليكية لديها رغبة في طي روحها مع الموت،حتى بعد أن اصبحت ماركسية لم تتخلص من فكرة التبني الطوعي للعجز،و لا من الشعور بالارتباط بين العاطفة و الألم،كوليت مازوشية بطريقة مخيفة،لأنها مازوشية ليست للمتعة،بل لان الإنسان معاناة متنقلة،وعليه أن يتقبل ذلك،عليه أن يستبدل الشكوى برضى صوفي،تقبل ألآلام حياتنا اليومية هو الانقلاب الحقيقي على الحياة نفسها،لهذا كانت تتقبل مرض السل كنوع من التضحية،تنظر إلى عدم الوفاء للتضحية كنوع من تعقيم الحياة،ما الذي يجعل الشيء نظيف؟هو عدم الاتصال مع هذا الشيء،كوليت ترفض النظر إلى الحياة من هذه الزاوية،وترى أن رفض الاتصال هو ما يثير الاشمئزاز و ليس نظافة الشيء أو قذارته،لهذا كوليت تقول:**"الشعر هو نوع من الإغواء للتواصل مع الآخرين"**،الشعر يفترض خضوع القارئ له،و بهذه الطريقة يمارس الشعر عنفه الخاص،و القارئ يقبل هذا العنف،إنها التضحية التي تفترضها العلاقة بين الشعر و القارئ،كوليت كانت مازوشية لأنها تنظر إلى الجنس بهذه الطريقة،لكي تصبح ذاتا كاملة عليك أن تذهب بعيدا في التضيحة،في الاتصال مع الآخر،و هذا ما لخصه باتاي بقوله:**"التضحية فهم عميق للموت و الحياة".**

في عام 1928م سافرت كوليت إلى برلين للعلاج من السل،هناك و بعيدا عن كل ما هو متوقع جمعها القدر بالطبيب إدوارد تروتنر،إدوارد يساري متطرف،كاتب و شاعر،صحفي معروف بمقالاته العنيفة و لغته المتطرفة،إدوارد سادي و يعشق العناصر المضافة لتوليد الإثارة،كوليت لم تكن تفكر في الفرق بين الفعل و العادة،لهذا لم تمنع الشر من الظهور كجوهر للحساسية المفرطة تجاه الآخر،لم تكن كوليت على دراية تامة بميولها الجنسية،الأكيد هو أنه كان لديها و بشكل نهائي القدرة على الثبات وسط تناقضاتها،لا أحد يستطيع إقناع أحد بتبديل العادة بمجرد رد الفعل،هذا التبديل يتم بالتوطؤ،كوليت كان لديها هوس بطعم الآخر،ليس معرفة الآخر،طعم الآخر فقط،لديها نوبات قلق بسبب التفاصيل،لا تسعى وراء الإنكار،أو الإغفال،أو النسيان،تسعى وراء غضب حميم يصل إلى

المستحيل،ما هو المستحيل بالنسبة لكوليت؟هو عدم وجود ذاكرة مصممة بشكل مرعب لتخرب حياتها،كوليت جاهزة و إدوارد لديه الشغف الضروري لجعلها تفهم التأثير الممتع لعنفه،لم تشعر كوليت بأن جسد الآخر غريب،بل جسدها هي الغريب و المتمرد و عليها قهره،بسبب هذا الشعور كانت تفهم الحياة في حدود فوضى جسدية غير محسوبة،تنظر إلى اللمسة كفعل يجب أن يكون لئيما و مرعبا،وهذا لا يتم إلا بعد إزالة العناد الفطري للجسد لتغيير طعمه،يأخذ الرعب في هذه الحالة طعم المذهل و اللذيذ بإفراط،كوليت تعيش مسجونة في شقة ليست بعيدة عن الحقائق التي لا تنسى،كل يوم تلبس جوارب سوداء طويلة،أحذية بكعب عالي،ترتدي فساتين من الحرير من تصميم أشهر مصممي الأزياء في تلك الفترة،مع عطور مشهورة و مثيرة،مستلقية على الأريكة تنتظر قدوم إدوارد بفارغ الصبر،إدوارد مارس مع كوليت كل أنواع العنف الجنسي،وضع في عنقها طوق،ضربها بالسوط،عاملها كعاهرة،كوليت تحب الألعاب من هذا النوع،شهوتها لم تكن متبلورة و لا عارضة،كانت شهوتها كثيفة و تبحث عن تفسير لها في التضحية،في الألم كقبول للغفران،اكتشفت كوليت مع إدوارد أن النشوة تأتي مع الشعور بالعدوان،ميولها المازوشية شكلت نوعا جديدا من الوجود يتعدى الوجود العادي،خلقت من إدوارد الأب الغاضب الذي يعاقب من يحب على الأخطاء الصغيرة،لم تطلب من إدوارد الجلوس على العرش من الصباح إلى المساء،بل هي من خلقت قيصر و أستمتعت بأن تكون عبدة له،استمتعت بالتضحية لكي يرتكب هو نفس الأخطاء التي يعاقب بسببها عبدته المطيعة،بدل أن تقضم إصبعها،أو تقطع أذنها،تعطي نفسها بسخاء لشخص آخر كي يرتكب هو هذه الجريمة،شخص قادر على تحمل النظر للضمير المقلوب لهذه الحياة.

إدوارد لم يكن السادي المقرف فقط،الإنسان قد يبدو جميلا إذا قررنا أن ننظر إليه بشكل مستقل عن وصفه،لقد تعلمت كوليت منه أشياء كثيرة،إدوارد كان وفيا لمعنى التناقض،وفيا لعدم قبول تنظيم اللغة بشكل متعسف لكل تجربة،المراقبة،الاستبعاد،الإسكات،هذا ما تفعله اللغة مع كلمات التجربة عندما تحاول التعبير عن نفسها،الخرس هو ما تتمسك به اللغة إذا تعلق الأمر بالمستحيل

و ما هو خارج المنطق،هناك دائما ما هو خارج اللغة وتريد السيطرة عليه من داخلها،ما هو خارج اللغة يجب الاستماع إليه وما يجب فعله،إدوار كان يعرف قيمة و متعة الأشياء و الأفعال التي تخلو من الفائدة،الإنسان يتغير في كل لحظة،كان إدوارد خارج اللعبة شخص حميم مع كوليت،لا يريد شيئا أكثر من قربها،كان يعمل على محو الارتباك،الخوف،القلق،من خلال فهم لغز الرغبة،كان يفتح الباب على مصرعيه في غابة مسحورة أمام كوليت،غابة من الكتب،السياسة، التاريخ،الثقافة كانت هي الطرف الثالث في علاقته بها،تعلمت كوليت منه كيف تكتب الوحشة،والوحدة،و الموت،وكيف تنظر إليه وجها لوجه،الموت لا يخاف من إضافة إنسان في كل ثانية إلى هذا العالم،يخاف فقط من كلمة مكتوبة تثرثر في صمت عن تجربة غير متوقعة،ثرثرة تبقى بعد كل لحظة جنائزية يرسمها هو بلامبالاة كبيرة،تعلمت منه أنها لكي تفهم السياسة عليها أن تقرأ الشعر،و لكي تفهم الشعر عليها أن تتعامل مع الحياة كصديق بلا هوية و كذاب،تعلمت كيف تلاحظ أن باتاي يقتبس من ماركس و هو يرد على السرياليين،و تعلمت كيف تلاحظ أن سوفارين يقتبس من تروتسكي ليرد على مقولات ستالين،تعلمت بعد ستة أشهر من الأثارة الكاملة في برلين أن تتقبل رغباتها مهما كانت مرعبة،شعرت في لحظة أنها جاهزة للنزول إلى الهاوية،فتحت باب الشقة و خرجت تركض إلى باريس،كانت الهاوية هناك جميلة و لا تفتقر إلى الوجه الجذاب أو الظل الخفيف.

في عام 1930م كانت باريس مدينة كل شيء،وصل فيها كل شيء إلى الذروة،بعد الحرب العالمية الأولى،و الثورة الروسية،كانت باريس مركز جذب لكل المبدعين في العالم،مدينة الأضواء كانت مكان حرية التعبير و السلوك،لم يكن الكحول ممنوعا كما كان في أمريكا،و لم تكن فرنسا مكان الحزن الذي تشعر به اسبانيا تلك الفترة،كان هناك ركود على الأبواب في كل مجالات الحياة،لكن تاريخ الثقافة لم يعرف مجموعة طليعية،مغامرة،مجنونة،و موهوبة يمكن أن تقترب من هذه المجموعة بأي شكل،كان هناك مغتربين من كل مكان خاصة أمريكا و روسيا و ألمانيا،و اسبانيا، كل الكتب الممنوعة في موسكو وصلت إلى

باريس،كل فنان و فيلسوف و كاتب روسي جاء إلى باريس ساهم و بشكل كبير في ظهور الفن و الأدب الحديث،وصل هيدجر أبو الظاهرتية إلى باريس عام 1929م،قدم في هذه الزيارة سلسلة من المحاضرات في الجمعية الفرنسية للفلسفة،وصل أفضل تأويل لهيجل إلى باريس مع الكسندر كوري و كوجيف،هيغل يحب التواجد في الأماكن التي يفكر فيها الشباب في التغيير،في هذا العام 1930م كانت الترجمات الأولى لهيدجر في متناول الجميع،علم نفس الجشطالت و فيزياء الكم ظهرت على السطح لمواجهة الوضعية،في باريس خط فاصل بين الكلاسيكية و الحداثة قد بدء يتشكل،وكان في باريس أيضا عداء للسامية،و عداء لكل المغتربين من كل مكان،أحد هؤلاء المغتربين هو بوريس سوفارين الذي عمل بكل جهد لنشر أفكار تروتسكي في باريس،في هذا العام بالذات كان تروتسكي شديد الانتقاد لفكرة الثورة الدائمة و سياسة ستالين بوجه عام،تروتسكي كان يشدد على أن الاشتراكية لا يمكن أن تقام إلا في دولة عمالية في المقام الأول،و أن هذه الدولة لن تكون روسيا المتخلفة،و لن تكون الاشتراكية محصورة في بلد واحد،بل لابد أن تنتقل إلى الساحة الدولية،و بعدها إلى الساحة العالمية،كان رد ستالين هو إكراه الفلاحين على تقديم الحبوب اللازمة لإطعام المدن و عمال المصانع،و لتحقيق ذلك استخدم القمع بكل أنواعه،و التجويع،و العمل القسري في المعتقلات،سوفارين كان يرى في فرنسا الدولة العمالية المتقدمة و الصالحة تماما لحلم تروتسكي،لهذا عمل بجد لنشر أفكاره التي أعجب بها الكثير من المثقفين و على رأسهم أندريه بريتون،و في الوقت الذي كان فيه سوفارين يكتب مقاله المشهور عن سجن ريزانوف و ما قدمه هذا الرجل للثورة،كانت كوليت تقول في نفسها لا أحب التنظير في المقاهي،ذهبت إلى محطة ووجدت نفسها في القطار المتجه إلى موسكو،كانت قد درسة الروسية في معهد اللغات في باريس،هناك دخلت في علاقة مع الروائي بوريس بيلنياك صاحب رواية "السنة العارية"،وقد أعدم بيلنياك في أبريل عام 1938م برصاصة في الرأس،بيلنياك لم يعامل كوليت جيدا،كان يظهر لها شيئا من الاحتقار بسبب أصولها البرجوازية،لم تستطع البقاء في لينينغراد أو موسكو فذهبت إلى قرية

صغيرة معزولة،هي واحدة من القرى التي يسميها ستالين تعاونيات زراعية مهمتها توفير الحبوب للمدن،كانت سعيدة مع عائلة من الفلاحين،لكن الشتاء كان صعبا و قاسيا جدا على مريضة بالسل مثلها،دخلت إلى المستشفى و هي على وشك الموت،ثم عاد بها أخوها تشارلز إلى باريس لتعيش فترة نقاهة ليست طويلة.

في بداية عام 1931م و بعد عودتها من الاتحاد السوفيتي جلست كوليت مع بوريس سوفارين و عشيقها السابق جان برينيه،اتفقت في هذه الجلسة مع سوفارين على تمويل مجلة الناقد الاجتماعي من الأموال التي ورثتها،على أن يكون الأمر سرا و لا يطلع أحد على مصدر التمويل،كان سوفارين معجبا بحماس كوليت،و قام بدعوتها إلى العشاء في مطعم براسيري ليب في منطقة سان جرمان دي بري،سوفارين اعترف بحبه لها في هذا العشاء،وفي اللحظة التي كان ينتظر فيها ردها دخل جورج باتاي و معه زوجته سيلفيا إلى المطعم و مر ليقي التحية على سوفارين و كوليت،هذه التحية السريعة هي أول لقاء بين باتاي و كوليت،و أثناء هذه التحية طلب سوفارين من باتاي الكتابة لمجلة الناقد الاجتماعي،على طاولة كان الحب يعلن عن بدايته،و على طاولة قريبة كان الحب يعلن عن نهايته،هل كان الأمر صدفة؟،إذا كانت مجرد صدفة فهي تستحق التبجيل،إما إذا كانت قانون التجاذب الاختياري الخاص بغوته،فيجب الاحتفاظ بهذا النوع من الجاذبية في الأرواح كنوع من التمائم المقدسة،الجاذبية أكثر شعرية من الصدفة،الصدفة تتخلص من سلطة الوقت و تهرب منها دون أن تعرف طريقها،الجاذبية لا تنفصل عن الوقت،بل تستعمل الوقت لصنع حدث نادر،وصل باتاي إلى هذا المطعم و هذا اللقاء و قد توقفت مجلة وثائق،قبل خروجه لهذا العشاء جلس إلى مكتبه وكتب رسالة إلى ليريس و كينو يتحدث فيها عن أن الحياة تقول بشفتيها غير ما تقوله بعينيها وهذا يسبب له الاحباط،الخيانة لها في الحياة مكان تتكلم منه،في هذا المكان تكون الروح في أقصى حدود انسيابها،الخيانة هي استراق السمع لهذا الانسياب الجميل و المبهم و الغامض،بعد توقف مجلة وثائق،كان باتاي يفحص الحياة بمعنويات ضعيفة و حماس يبدو كما لو أنه لم يعد موجودا،كوليت وصلت إلى هذا المطعم و هي معارة إلى عالم آخر و زمن آخر،التلائم مع الرديء أصبحت

طريقتها في الحياة،لا يمكن معرفة الحياة بشكل جيد بوسائل أخرى سهلة،فائض الجميل سهل لكنه لا يضيف الكلمات المناسبة،الطيش يضيف الجميل إلى حدث رديء و آثم فيكوّن معرفة،هذه المعرفة لا تنقذ الإنسان من نفسه،لكنها تنقذ الحياة من التآكل بسبب وجودها في العراء أمام الريح،لم يكن اجتماع سوفارين و كوليت سوى تجنب لمعنى الوحدة،أما اجتماع باتاي و سيلفيا فهو تأكيد لهذا المعنى،الصدفة هي أن يكون سوفارين مع كوليت،و أن يكون باتاي مع سيلفيا،الجاذبية هي أن يكون باتاي و كوليت في مكان واحد.

شكل 2 كوليت لور لوسيان بينو 1930م

خرج باتاي من المطعم و هو يفكر في مجلة اسبوعية مخصصة للتاريخ العالمي،يشارك باتاي هذا الحلم مارسيل دوهاميل السريالي سابق،جاك كلاين الصحفي و الكاتب المسرحي،وكان هناك تفكير في استقطاب الدادي السابق ماكس موريس كرسام للمجلة،لكن مشروع المجلة توقف عند كونه أحد طموحات

باتاي،لهذا قرر الكتابة في الناقد الاجتماعي،كتب أول مقال في هذه المجلة في اكتوبر 1931م،كان المقال حول كتابات ستيفان تسافيغ الخاصة بالسيرة الذاتية لفرويد،مجلة الناقد الاجتماعي هي المكان الذي عرف فيه باتاي مجموعة من الكتَّاب منهم سيمون ويل،بيير كان، باتريك فالدبيرج،جورج أمبروسينو و غيرهم،كان هدف المجلة هو تجديد الفكر الماركسي،وهذا يتم مع مجلات أخرى كانت تصدر في نفس الفترة،ما يهم هو أنه بالتزامن مع المشاركة في مجلة الناقد الاجتماعي بدء باتاي حضور محاضرات الكسندر كوري كل يوم اثنين مساء في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا،بعد المحاضرة كان يجلس مع الكسندر كوري في مقهى "هاركورت"في زاوية مبنى السوربون و شارع سان ميشيل لمواصلة النقاش حول المحاضرة،الكسندر كوري يهودي هاجر من روسيا بعد ثورة 1917م،بعد الإنتهاء من الشعور بنشوة الثورة،عاد الشعور المعادي للسامية إلى الوجهة من جديد،وانتهى الأمر بتضييق ستالين على اليهود بشكل سافر،كوري درس الظاهرتية في ألمانيا وجاء إلى باريس بحثا عن حياة جديدة و مشروع نقدي جديد،هو الأكثر شهرة بين المهاجرين الروس،كان عالما في مجال التاريخ و فلسفة العلوم،كتابه "رينيه ديكارت و المدرسية" منحه تأثير على الوسط الثقافي الفرنسي،و هو أول من ترجم هيدجر إلى الفرنسية،كان كوري يشارك في ندوات كثيرة،و كتب في مجلة "بحوث فلسفية" التي نشر فيها غاستون بشلار ابحاثه و مقالاته،عندما يكون كوري خارج باريس،كان يعطي مكانه في معهد الدراسات التطبيقية الكسندر كوجيف الذي أثر في جيل كامل من المفكرين على رأسهم باتاي،ولد كوجيف عام 1902م لعائلة برجوازية كبيرة،مات أبوه في الحرب الروسية اليابانية،وشاهد زوج أمه يقتل على يد عصابة و هو في الثانية عشر من عمره،سجن على يد البلاشفة،و أصبح ماركسيا في السجن،لكن تاريخه البورجوازي كان عائقا أمام مواصلت دراسته بعد خروجه من السجن،هاجر إلى بولندا و بعدها إلى ألمانيا،كان يحاضر في جامعة هيدلبرغ عن الفلسفة و اللغات الصينية،و التبتية،و السنسكرتية،وقد درس باتاي هذه اللغات بتوجيه منه،في عام 1928م انتقل كوجيف إلى فرنسا،وكان يسكن في نفس الحي الذي يسكن فيه

بنيامين،كتاب هيغل الفينومينولوجيا لم يكن قد ترجم بعد،و بعد أخذه مكان كوري وجد الفرصة لترجمته و شرحه لمستمعيه،هذه الترجمة و من خلال شرح كوجيف كانت صدمة لجيل كامل،من موريس ميرلوبونتي إلى أندريه بريتون،لكن صدى الصدمة الكبير كان من نصيب باتاي،لقد أذهله كلام كوجيف،وهذه المحاضرات كانت وراء قول باتاي:**"الفلسفة الهيغلية هي الفلسفة الوحيدة التي يمكن أن تعيش".**

لقد كان كوجيف الأكثر فهما لماركس و الأكثر قدرة على تفسيره من خلال هيغل،لم تعرف التقدمية الفكرية نجاحا كالذي عرفته مع كوجيف،و لا يمكن فهم كتابات جيل الطليعة في القرن العشرين دون فهم كامل لكوجيف،قبل كوجيف كان هيغل هو الفيلسوف الأكثر تعقيدا وكاد أن يكون منسيا،بعد كوجيف أصبح هيغل فيلسوفا شعبيا و يمكن فهمه،المذهل في كوجيف أنه وصل إلى معرفة أن هيغل لم يكن يريد معرفة شيء خارج نفسه،لا من الطبيعة و لا من التاريخ،كان يريد معرفة كيف يعرف الفيلسوف ما يعرف،وهذا يعني امتلاك الوعي الكامل،يعني تفسير متماسك لكل شيء من خلال هذا الوعي،بين كوجيف أن كلام هيجل عن الطبيعة لا يمكن الدفاع عنه،لكن كلامه عن التاريخ هو ما يجب التركيز عليه،كوجيف هو من قال:**"أنا أرغب،إذن أنا موجود"**،التاريخ يكتب الرغبة و يترك باقي النفاق للتسلية،الرغبة إعلان عن غياب،عن فراغ،عن موت قادم و نهاية التاريخ،الرغبة هي إعلان عن وعي كامل،إعلان عن تجاوز هذا الوعي و نهاية الفلسفة،كوجيف شرح لباتاي كيف أن الحكمة وحدها عندما تنظر إلى المرآة ترى نفسها،و تنظر إلى نفسها بإعجاب و لا ترى عيوبها،و العلم لا يكشف عن نفسه إلا و هو يصف طبيعته لنفسه،الإنسان وحده يعرف مرارة الكشف عن نفسه وعدم الإعجاب بها،الذي أدهش باتاي هو أن كوجيف دعم بقوة حديث ماركس عن الميتافيزيقا،و أن الصراع بين السادة و العبيد لم يدخله العبيد بسبب الحاجة أو الضرورة البيولوجية،لقد تعلم باتاي من كوجيف كراهية أفلاطون و كانت بطريقة جميلة و غير عدوانية،كان الفرق بين كوجيف و باتاي هو أن الأول ماركسي تحول إلى فيلسوف،و الثاني فيلسوف تحول إلى ماركسي،و كالعادة

تحوّل كوجيف بعد فترة إلى عدو بالنسبة لباتاي،كل من يعشق باتاي افكارهم كان يحولهم إلى أعداء كي يكتب عنهم،كان باتاي ينظر إليهم في سياقهم التاريخي،و بالكتابة ضدهم كان يعبر عن حبه لهم،كتب ضد نيتشة،ضد هيجل،ضد ساد،ضد السريالية،لكن لسبب واحد وهو فهمه العميق و الملائم للكتابة عنهم،ما كان غائبا في كتابة الآخرين عن نيتشة،هيغل،ساد،السريالية،هو الهوس بهؤلاء،شعر باتاي بالتوازن و الحماس من جديد،كتب العديد من المقالات لمجلة الناقد الاجتماعي،"نقد أسس هيغل الجدلية"،"مفهوم الإنفاق مشكلة الدولة"،"حول البنية النفسية للفاشية"،و الكثير من المراجعات لكتب حول هيغل و فرويد و المسيحية،لكن كل هذه الكتابات كانت تقع في دائرة اهتماماته السياسية،كان تحت تأثير آرنو دنديوه عشيقته في تلك الفترة،دنديوه الماركسية كانت تريد تطبيق الهبة لدى مارسيل موس في المجتمع الرأسمالي،من وجهة نظرها التجار يحتكرون دون مبرر،و عليهم العطاء دون مبرر،كل ما يهم باتاي في هذه الكتابات هو تركيزه على الثنائيات،على التناقضات و جمالياتها المفزعة،إن سماع صرير أسنان العالم أمر مروع لكنه مضحك بطريقة مخجلة،لأن العالم ينسى إمكانية السهو و الخطأ و نحن بضحكتنا المدوية نذكره بحقيقته،باتاي كان يعيش التناقض بين الرغبة و الاستقرار،لم يكن قادرا على الاندماج،كان يزحف إلى غرفته بعيدا عن سيلفيا ليكون وحده،كان يفكر في التناقض بين العام و الخاص،و يعتبر العام هو الزواج و الخاص هو الحب،هذه الثنائية الغنوصية لا تسير مع نهر المثالية و لا تكوّن خبرة،بل كانت شر مطلق لأنها تجبر الحياة على التراجع،المعرفة توضح كيف أن العالم لا يزول بسبب نظرة احتقار،و لا يقوم بسبب عظمة زائفة،العالم يقوم على ما نجد فيه العزاء لأننا نعرف مأساة نهاية التاريخ،لا شيء جديد يمكن أن يحدث،فكل شيء قد حدث فعلا و ما يحدث ما هو إلا ما حدث من قبل،إن ما يجد فيه الإنسان العزاء الحقيقي وسط هذه المأساة هو الحب.

كوليت لم تكن ناجحة اجتماعيا،لا أحد يستطيع التنبؤ بالوقت الذي يمكن أن تنسى الكراهية و تبدأ فيه الحب،باتاي تكلم عن اللقاء في مطعم براسيري ليب،ذكر أنه صدم بجمالها،و أن جمالها ليس من النوع الذي يستطيع الجميع رؤيته ،لأنه

نوع خاص و نادر و من الصعب فهمه،وأنه أحس عندما لمس يدها بالشفافية الكاملة،بالنسبة له كانت هي المستحيل،لأن المستحيل في تعريف باتاي هو:**"أن تضمن أنه لا شيء يصبح هدفا بالنسبة لك"**،لمس كوليت هو لمس لهذا المستحيل و شفافيته،باتاي لم يكتب كلمة واحدة عن زوجته سليفيا،سيلفيا كانت جميلة،و قد ركز كل مخرج عملت معه على عينيها و شفتيها و وجهها الشهواني،لماذا لم يتكلم عنها باتاي مطلقا؟في الفترة التي تعرف فيها باتاي على كوليت كان لديه عشيقة،آرنو دنديوه كانت تعمل معه في المكتبة الوطنية،كانت على رأس حركة اسمها "حركة النظام الجديد"،نشرت هذه المجموعة بيانا عام 1930م،و أصدرت صحيفة 1933م،نشرت فيها دنديوه مقالات مثل "طوبولوجيا المدينة العالمية" و "أنثروبولوجيا الإنفاق الذاتي"،كانت يسارية و تهاجم النظام الرأسمالي و السلعية،باتاي كان يميل إلى هذا النوع من النساء،المرأة المثقفة و المدافعة عن قضية ما،وبعد قطع علاقتها بباتاي أصبحت دينديوه عشيقة بيكاسو لفترة طويلة،سليفيا تعرفت على لاكان في مقهى دي فلورا ورفضت أن تكون لها معه علاقة في فترة زواجها من باتاي،كان لاكان يميل إلى النساء من نوع سليفيا،هادئة و كتومة إلى درجة أنه لا أحد يعرف عنها الشيء الكثير،علاقة باتاي و لاكان استمرت عشرين عاما،لم تقع بين الرجلين أي مشكلة من أي نوع،بل كانت الكثير من دراسات لاكان النفسية ترتكز على كتابات باتاي الأدبية،كوليت كانت على العكس تماما،كانت كوليت لغزا بالنسبة للكثيرين،امرأة تحب الخلاعة،لكنها ملتزمة سياسيا إلى أبعد درجة،عرفت أنوع كثيرة من الألم بسبب هذا الألتزام،لم تتجنب هذا الألم و لم تنساه،عندما قابلت باتاي قالت له:**"أخيرا قبضت عليَّ في المكان المخنوقة فيه بشدة،أنا تجاوزت الكلمات،لقد رأيت الكثير،و عرفت الكثير،و جربت الكثير،يمكنك أن تفعل بي ما تشاء،فهذا لن يؤذيني بعد الآن"**،لديها المال و الإرث البرجوازي و الاسم العائلي،لكنها لم تهتم بهذه الأمور و بقيت ماركسية إلى النهاية،قال عنها ميشيل ليريس:**"أنا أرتجف عندما أنظر إلى وجهها الذي يستجيب لمعاناة الآخرين،هي الملاك و الشيطان،المتوقع و المستحيل،العاهرة التي تعرف العربدة و المتعة بعنف،والقديسة التي تعرف**

حدود البراءة القصوى،هي الجنة و الجحيم و لا يمكن تخليصهما من بعضهما البعض".

خرجت كوليت من مطعم براسيري ليب باسم جديد هو كلود اراكسس،تم التفكير في هذا الاسم أثناء العشاء،و بمساعدة من سوفارين اختارت هذا الاسم ليكون اسمها المستعار في مجلة الناقد الاجتماعي،أصل هذا الاسم روسي،أراكسس هو نهر يجري بين الاتحاد السوفيتي و تركيا،نهر متهور،عنيف،لا يمكن إقامة سد أمامه أو جسر عليه،كانت كوليت هي نهر أراكسس الذي يرفض وجود جسر بين المرأة الكاثوليكية البرجوازية،و المرأة الثورية المتمردة على كل الأعراف الاجتماعية،الجميع كانت لهم اسماء مستعارة،بوريس سوفارين معروف باسم فاريني،باتاي كتب لأربعين عاما تحت اسم مستعار،لم يحمل اسمه سوى كتابين من كل كتبه هما:"الأب سي" و "سماء زرقاء" وهذا الكتاب معروف باسم "زرقة اللاشيء"،كتاب باسماء مستعارة مثل بيير أنجليك،لويس ترنت،اللورد أوش وغيرها من الاسما،كانت الأقنعة موجودة و الهويات تتغير، عندما دخلت كوليت مع سوفارين في علاقة كانت منهكة بسبب سفرتها إلى الاتحاد السوفيتي،وفر لها سوفارين المكان المريح و الهادئ،سوفارين أحب كوليت،لكن حبه كان من النوع الأبوي،قال أنه دخل في عهد مع روحها،و أنه كان يريد حمايتها من العالم و من نفسها:**"كوليت مريضة و لا تعرف سبب مرضها هل هم الملائكة أو الشياطين،وكان هذا يضرب بقوة كل بارقة أمل في شفائها،متشائمة بطريقة لا تصدق"**،عاشت كوليت مع سوفارين أربع سنوات،كانت بالنسبة لها خارج كل حياة،أصبحت عشيقة باتاي عام 1934م،أطلق عليها اسم لور وهو الاسم الاوسط لعائلتها،لا يعرف أحد لماذا فعل باتاي ذلك،بدأت العلاقة في مايو بشكل سري،و في يوليو أصبحت العلاقة علنية،تعرفت كوليت على سيمون ويل عن طريق سوفارين و مجلة الناقد الاجتماعي،سيمون تعرفت على سوفارين عام 1932م،ماركسية و من أفضل الفلاسفة الذين قرؤوا كتاب ماركس "رأس المال"،كانت مهتمة بالحرية و القهر الاجتماعي،ومهتمة أيضا بالهندوسية و اللغة السنسكريتية،عاشت في اسبانيا لفترة مع الجمهوريين و

الفوضويين و أصيبت في الجبهة بشكل غير مقصود،رجعت بسبب هذه الإصابة إلى فرنسا،وكتبت حول أصول الهتلرية و العنف،سيمون حذرت كوليت من باتاي المعروف بجنونه في باريس،كان باتاي مشهورا في بيوت الدعارة و الحانات و المقاهي،لكن كوليت بدلا من التفكير في كلمات سيمون كانت تذهب مع باتاي إلى بيوت الدعارة،لقد كان بينها و بين باتاي اتفاق بعدم المحاسبة على شيء،تنتمي حياة باتاي للمنافسة و الخبرة،التنافس لأن فيه التضحية بالنفس،و الخبرة لأنها تعني أن لا شيء تم فهمه بشكل مسبق،كوليت تنظر إلى المنافسة كتشويه لعالم التجربة لأنها تحولنا إلى شخص آخر،كوليت كانت تسأل عن الرغبة،من أين تأتي؟ما الذي تفعله في حياتنا على وجه التحديد؟للإجابة عن هذه الأسئلة يقول باتاي:**"يجب على المرء أن ينزف"**،كوليت تدافع عن الرغبة أمام جبروة القوة،هيغل يعترف بهذه القوة و لا يرفضها و يعتبرها لحظة متجانسة مع الموت،كوليت تسخر من هيغل و تنظر للحياة كفرحة ما قبل الموت،باتاي يكره هيغل و ينظر إلى القوة على أنها الضحك الذي يجلب الدموع،التجربة علمت باتاي أن يسأل كيف ينبغي؟وليس كيف يمكن؟لهذا كان لعلاقته بكوليت صوت يشبه هدير البحر من بعد،كان باتاي يكرّس في هذه الفترة أكثر وقته لمشكلة الفاشية و صعودها،ودخل في صراعات سياسية صريحة الهدف منها هو إبعاد شبح الحرب العالمية الثانية،شارك في مجموعة تتبنى هذا الإتجاه،كان معه جان دوتري وسيمون ويل و إدوارد لينيرت.

كوليت كانت مغرمة بنوع الحياة الذي اكتشفه نيتشة،إزدراء كل شيء،لكن دون كراهية،دون عداء،الاحتقار لكل شيء بطريقة هادئة جدا،وبسيطة جدا،لا تهكم و لا محاولة لفعل شيء يدل على الثقة بالنفس،هكذا نقاوم غريزة الموت،هكذا نشعر بالتضحية كتحلية في نهاية الوجبة،و لا يكون للتنافر طعم الغبار في الفم،كانت دائما تطرح على نفسها نفس السؤال:**"ما معنى أن تكون حيا"**،لماذا يخطر على الناس اللون الأبيض عندما تقول:**"أنت حي"**،كأن الحياة معقمة بطريقة تشبه البياض،إنها كلمة ضد العمل الذي تتسخ فيه يديك،كوليت كانت تفكر في إنقسام المجتمع إلى برجوازي نظيف،وعامل متسخ،أمها كانت تنهرها عند

محاولتها القيام بأي عمل أو مد يد المساعدة للخدم،أمها البرجوازية حريصة على الخطوط الاجتماعية و عدم تجاوزها،لا أحد يفكر في التواصل،لأن في ذلك خطرا على الخريطة الاجتماعية،هذا يعرض الإنسان إلى كراهية الذات،و الانقسام و التشويه الداخلي،كوليت كانت تعمل ضد هذا التفكير في كل تصرف من تصرفاتها،التمرد على هذه الخطوط الوهمية هو هدفها،كتبت الشعر لأنه حالة من التواصل المقدس من وجهة نظرها،حالة تواصل مع نفسها و مع الآخر،الزحف خارج ملامحها،الإبحار خارج تعارجاتها،القفز خارج الدائرة المرسومة لها،هذا هو الشعر،في ديونها "قصائد قبل صيف عام 1936م"،حاولت فيه الإشارة إلى الكيفية التي يسعى بها الإنسان إلى تحقيق هدف مع علمه بحقيقة الموت،ترفض كوليت الكتابة على أساس الجنس،كتاباتها ليست مؤنثة و لا مذكرة،هذا شيء تخفيه بعناية عن القارئ،لم يكن أحد يعلم أن كوليت تكتب الشعر،لا الأصدقاء و لا باتاي نفسه،كانت تكتب لنفسها عن وحدتها،وعن الأفكار التي تخترق هذه الوحدة،المميز في كوليت هو تأثيرها على نخبة من مثقفين و كتاب ذلك العصر،باتاي،ليريس،و بيير كلوسوسكي،و موريس بلانشو بعدهم كانت الصداقة تمثل كل شيء بالنسبة لها،تقول في إحدى قصائدها:**"من النافذة غير المرئية..أنظر إلى كل أصدقائي..وهم يتقاسمون حياتي فيما بينهم..يقضمونها حتى العظم..لا أحد منهم يريد أن يخسر قطعة جميلة..من الذبيحة المتنازع عليها"**،كوليت تعتبر التضحية جزء مقدس في أي علاقة،كانت تعطي روحها و عقلها و جسدها كتضحية من أجل الآخر،الكاثوليكية كانت مدفونة بعمق في روح كوليت،لكنها تظهر في أفكارها بوضوح،لم تتخلى أبدا عن التفكير في الدين بطريقتها،**"الكهنة..كل أنواع الكهنة كاذبون..اسمعني..لقد قلت لا للتقوى..و لي وجه ملاك..التقوى هالة في فم بلا أسنان و يضحك"**،كوليت لديها مفاهيمها الخاصة عن التقوى و القداسة،الغموض هو ما كان يجذب كل الرجال لكوليت،غموض المفاهيم و الأراء و الشخصية،النقاء و الشفافية مع عشق للجسد و رغباته اللامحدودة،و الاعتراف بذلك يجعل كل من حولها يفكر في مقاومته لنفسه،لم تتكمش كوليت أمام كلمة عشيقة،و لم يكن هناك غموض في هذا الجانب

في حياتها،الغموض كان هناك في الجانب الصوفي منها،الكتابة كانت مكان السر،مكان الاختباء وراء الكلمات،مكان البحث عن حل للغز وجودها،لا يمكن النظر إلى كوليت بمفهوم العشيقة القديم، mistressهذه الكلمة ظهرت إلى الوجود في بداية القرن السابع عشر،قبل هذا التاريخ كانت تعني مرأة غنية،أصل الكلمة هو master و تعني السيد أو الذي لديه السلطة،و تحوّلت الكلمة من معنى المرأة التي تمتلك المال و السلطة على الآخرين،إلى المرأة التي تملك قلب رجل متزوج و لديها السلطة على هذا القلب،كوليت لم تكن تبحث عن امتلاك قلب باتاي،و لم تحاول فرض سلطة على قلبه من أي نوع،تجربة التضحية بالنفس كانت تغريها بشدة،لم يكن باتاي متزوجا لتشعر بأنها عشيقة تقليدية،باتاي كان ينزلق من يدها ليصبح في يد كل عاهرات باريس،لا معنى للسلطة أو الامتلاك في هذه الحالة،لا معنى لكلمة عشيقة نفسها،كوليت كانت مقدسة بالنسبة لباتاي،وهذا ما كان يرعبه منها،**"حتى في فسقها هناك طهارة فيها تجعلني احيانا أتمنى لو أزحف تحت قدميها،كنت أخاف من نقائها،فسقها،طهارتها،و عدالتها"**،لم يكن هذا ما يبحث عنه باتاي،الاتفاق مع كوليت منحه الفرصة ليبقى بعيدا عن فتنتها الروحية،و عن العدالة في نفس الوقت.

بموجب الإتفاق مع كوليت،لم يتوقف باتاي عن زيارة العاهرات و علب الليل،كان باتاي مفتونا بحالة اللاوعي التي يجدها في عبوره إلى جسد آخر،كان يجد المستحيل في هذا التمسك بالجسد،المستحيل هو الآخر مع تمزقاته و جروحه،المواجهة مع جسد الآخر تعني وضع نفسك موضع سؤال،باتاي لم يكن يسمع كوليت جيدا،ميشيل ليريس كان مستمعا جيدا بالنسبة لكوليت،لقد كان مشغولا بفهم تجربته الداخلية،و في تفسير كيف يجب أن تكون هذه التجربة في قلب الوجود الإنساني،لقد عرف الصوفيون مثل هذه التجربة،لكن ليس بالطريقة التي كان باتاي يقصدها،باتاي يرى أن التخلي عن الوجود يمنحنا السيطرة على وجودنا،و يرفض استخدام المخدرات للوصول إلى هذا التخلي عن الوجود،الصدفة هي ما يحتاجها الإنسان للوصول إلى هذه التجربة،إنها حالة تشبه الإلهام أو الرؤية في لحظة لا يمكن استدعائها،بل تأتي وحدها عن طريق

الصدفة،كان باتاي يضرب مثال لهذه التجربة بالشامان الذي ينتظر هذه الإشارات التي تتحول إلى كلمات،و يؤكد باتاي على أن جوهر تجربة الشامان تكمن في الجرح،أو المرض الذي يفتح الوجود أمامك،المرض الذي يجعلنا في مواجهة مع الموت،العودة من هذه التجربة تغير علاقتنا الموضوعية مع الحياة،كان باتاي يبحث عن حل آخر بعد خيبت الأمل التي عرفها مع الكاثوليكية،قلب باتاي لا يهدأ و يحاول إيجاد طريق بين اللحم و العظم،وهذا الطريق وجده في الجروح العاطفية التي تشبه تاج الشوك،تشبه الجروح على جسد المسيح،كان باتاي يكشف عن نفسه في كتبه،لهذا لم يعترف بها أبدا،و قال:**"أنا أعتبرها نوع من العلاج النفسي"**،لقد كانت الذاكرة تجره إلى أقصى حدود الخاص، و لم يحاول أبدا الهروب من هذا الخاص،كان يجد سعادة كبيرة في التواصل عن طريق الكتابة،وهنا يظهر تأثير كوليت بوضوح،لكن يختلف عن كوليت في عدم البحث عن حقيقة لأي شيء،بل كان ينظر إلى هذا البحث كعبث يدمر به الإنسان نفسه،و أن مشكلة الإنسان لا تكمن في بحثه عن الحقيقة،بل في عدم قبوله لحقيقة أنه فرد معزول و مبعد،وهذا ما يبرر منحه قيمة كبيرة لفكره و عمله،الإنسان يصرخ اريد الإرتباط،أريد الآخرين الذين يعانون بسببي،لهذا كانت الصداقة موضوع تبجيل عند باتاي،الأصدقاء وحدهم من يقبل المعاناة بسببك،الصداقة تتطلب التفاني المضني،لأنها تعاني في فترات كثيرة من الركود و الارهاق،ومن هنا جاءت محاولته تشكيل مجتمع سري يجمع فيه كل أصدقائه،مجتمع ذو طابع صوفي،بعيد عن تأثيرات الفاشية،و عن جانب الحياة الأكثر مأساوية،لم تكن كوليت بعيدة عن كل هذه الأفكار،كانت إلى جانبه في كل خطوة،ما كان يعجبها في باتاي أكثر من غيره،هو الشفافية و العفوية،لا يخون نفسه أو أفكاره مهما حدث،كانت تراه كما هو،حتى العنف الجنسي معه،تنظر إليها كخدع غير مؤذية،و تعرف أن محاولة السيطرة عليه تشبه محاولة وضعه في قبر،لهذا كانت تحترم الاتفاق الذي كان معه،الاتفاق المقصود منه أن نحزن معا بسبب فكرة العدم،أن نحزن معا بسبب الشعور بأن كل يوم قد يكون هو الأخير،أن نحزن معا بسبب الأشواق التي لا تجد ما يعبر عنها،أن نحزن معا لأننا لا نريد إنقاذ أنفسنا من جمال الحياة،الاتفاق

المقصود به أن من يشاركني العذاب،من يشاركني الجلوس في الظلمة هو من يريدني و أريده،مثل هذا الاتفاق يكون بين الأصدقاء فقط.

باتاي يرى أن التجربة الصوفية هي تجربة العزلة،أو تجربة الحد من الإتصال مع الآخر،إنها التجربة التي تثبت عدم تماسك العالم،و حتى إذا وجد هذا التماسك فإن العالم يجد الشغف الذي يسمح بتجاوز تماسكه مره أخرى،في التصوف نجد عفوية الطفولة،و العاطفة تصبح حالة عرضية،تستبدل التجربة الصوفية العاطفة بضحك الطفل،إنها تجربة أحزان و أفراح الوحدة،وحدة يتم فيها استيعاب العالم ببطء و دون قلق،يتم استيعاب الشر كشرط من شروط الحياة،لذلك يمكن اعتبار الأدب هو العاطفة الانسانية التي تريد الهروب من الشر،لكن بدون تصور الشر كلعنة،بل النظر إليه في إطار مفهوم السيادة،الشر كالموت لا ترغب فيه لكنك مجبر على ارتكابه في النهاية،لهذا يرى باتاي أن ستالين أخذ الطريق الصعب و المكلف أكثر من غيره لحل مشكلة التخلف في روسيا القيصرية،الشر هو الحل الوحيد الذي كان أمام ستالين،و يشدد باتاي على أن الشر هنا مربوط بظروف محددة،هذا لا يعني أن باتاي يبرر ما فعله ستالين،لكنه يشير إلى أنه لا اختلاف بينه و بين الرأسمالية،يقول باتاي:**"في المجتمعات البدائية كان استغلال الإنسان لاخيه الإنسان ضعيف جدا،و الأغنياء كانت ثروتهم معروضة أمام الجميع،لأنها ثروة الجميع من خلال الإنفاق الجماعي،لكن في المجتمعات الحديثة،الثروات تعرض خلف الأبواب المغلقة،وفقا لإتفاقيات كئيبة و مملة،لقد أصبح هذا الخداع هو السلوك الرئيسي في الحياة اليومية و العمل،لقد ميزت البرجوازية نفسها عن الإقطاعية بإخفائها ثروتها عن الآخرين،هذا سلوك مجتمع متعفن و يحتاج لتدمير ثوري"**،في عام 1933م زاد اهتمام باتاي بصعود الفاشية ودراسة الإطار النفسي الذي استخدمته الفاشية في صعودها،باتاي يشير إلى أن العرقية و الوطنية جعلت الفاشية تشمل كل طبقات المجتمع بما في ذلك العمال،إن العاطفة تجاه هذه الكلمات تخلق تجانس بين طبقات المجتمع و تبعد جانبا موضوع صراع الطبقات،إن في هذا التعاطف شر لكن الإنسان لا يملك إلا التعاطف مع هذا الشر،هذه الأفكار لم تكن تعجب كوليت المناهضة

للستالينية،لكنها لم تناقشها مع باتاي،لم يكن هناك حوار ثقافي بينها و بين باتاي،وهذا ما كان يحزن كوليت و يشكل شرخا في العلاقة،باتاي لم ينضم للحزب الشيوعي،و لم يلتزم تجاه أي مشروع سياسي،لكن فكره الماركسي كان متماسكا بشكل واضح،خاصة في ردوده على السرياليين،باتاي كان مهتما بالعنف الذي تمارسه الرأسمالية،مهتما بالأخذ و العطاء،الفائض و التبادل،باتاي و بنيامين فهما أن إنتاج السلعة ليس فقط من أجل الربح بل من أجل السيطرة،امتلاك السلعة يعني امتلاك الآخر،امتلاك السوق يعني الهيمنة و الإكراه،في هذا النظام السلعي التعامل يكون على أساس السيادة،من يصنع السلعة هو السيد و المستهلك هو العبد،كل هذه الأفكار نجدها واضحة في مقاله "مفهوم الإنفاق" الذي نشر عام 1933م،و بعدها في كتاباته عن الاقتصاد و العمل و رأس المال،فكرة باتاي التي يتفق فيها مع بنيامين هو أن الأسلوب البرجوازي في الإنفاق،هو أسلوب احتفالي و عربيدي يهدف إلى تدمير الأساليب الأخرى في الإنفاق،تدمير الأنشطة الإنسانية التي لا منفعة إقتصادية فيها،مثل الفن و لحظات الحزن،أوقات العزلة والتأمل،التجربة الصوفية،بالنسبة للرأسمالية هذا نشاط ينطوي على خسارة،الأغنياء لا ينفقون على الفقراء،بل يعيشون على خسارة الفقراء لأنشطتهم الإنسانية،وهذا هو ما يسمى العبودية،لأن العمل من أجل العيش يعني العبودية لهذا العمل،هذا النموذج من الحياة القائم على طرف يخسر و طرف يكسب في كل لحظة،هو نموذج السيد و العبد الذي يفرز إنسانا منحطا على كلا الطرفين،كان باتاي يعالج هذه القضايا في صحيفة مجلة الناقد الاجتماعي،وكوليت لا تطلع عليها رغم و جودها معه في البيت و عمالها في المجلة مع سوفارين،باتاي كان مهملا وهذا ما جعل كوليت تلجأ إلى ميشيل ليريس و سيمون ويل لمشاركة أفكارها.

كوليت تشبه نقطة تمر منها كل الخطوط و تتصالح فيها مع بعضها البعض،كل التناقضات و التعارضات تشعر أن كوليت مكان تعيش فيه مع بعضها البعض بانسجام تام،أو تشبه وعاء فخري ممتلئ بدم الضحية و دموع من ذبحها،قوة كوليت و جاذبيتها تكمن في هذه النقطة بالذات،عندما تنظر إلى كوليت

تشعر بقوة و انبهار بسبب غموضها،بسبب مرورها من الخير إلى الشر و العكس بسهولة و دون أن تفقد غموضها،لكنها تمر بصمت قاسي،صمت يؤكد عدم الوجود،نقاء الصمت لا تصل إليه حالة الانقسام،كانت تجلس بنفس الطريقة التي كانت تجلس بها في غرفتها و هي طفلة،تنتظر عودة باتاي من جحيمه الخاص،تنظر من شباك الشقة في حي سان جرمان بحثا عن كلمات الطفولة،تكتب القليل من الكلمات و تخفيها حتى لا يراها باتاي،لم تشاركه أفكارها،كانت ترد عليه بطريقتها الطفولية،عيش اللحظة بالنسبة لكوليت أهم من الكتابة،كانت تجرب مع باتاي رفض كل المعايير الاجتماعية،علاقتها به كانت فاجرة و عنيفة،**"أنا أكره الطيبة التي لا تقود إلا للإذلال،أنا أفضل العاهرة الحقيقية"**،هكذا تنظر إلى الشر كأمر لا يقبل التفاوض،لكنها تعاني بسبب عدم الأمان العاطفي مع باتاي،كان قاسيا في تنفيذ الاتفاق معها،**"لقد مررت بقسوتك و أصبحت أقوى مما تظن"**،كتبت له هذه الكلمات في رسالة حزينة،هو كان حائرا في التعامل مع كوليت قال لميشيل ليريس:**"كنت محتقرا و يكرهني الجميع بسبب النقاشات الثقافية،و مع ذلك كانت تلومني لأني لم أكن أناقش معها شيء من ذلك بجدية"**،لم تفهم كوليت أن باتاي كان يخسر الجميع بسبب هذه النقاشات،و أنه خاف من فقدها بسبب نقاش ثقافي قد لا يغير شيء،كان باتاي يحبها لدرجة أنه أبعد من علاقته بها كل ما يمكن أن يتسبب في مشكلة،لا يريد التواصل مع كوليت عن طريق العمل،بل عن طريق اللعب،بالنسبة له كان العالم لعبة صعبة من الألم و الموت،تعلم من نيتشة الضحك الذي يجلب الدموع،نيتشة يرى الضحك حركة خارجية،لكن باتاي حولها إلى حركة داخلية،نوع من التشنج بسبب عدم الأمل في السياسة و الفلسفة و الدين و العلم،تشنج بسبب الضحك الداخلي ينتهي بنوع جديد من الكتابة،هذا الضحك الداخلي هو الصمت،الصوت في هذا الضحك هو الكتابة،الصمت الذي يتكلم بسبب شعور كوليت بالوحدة هو الكتابة،ليريس قال:**"كوليت لم تكن تكتب،كانت تلقي العبارات على الورقة فتنفجر و تصبح شظايا،أو صراخ و صيحات عالية"**،جزء من الوهج الذي تركته كوليت هو عدم اهتمامها بكتاباتها،لقد صورة نفسها صورة فوتوغرافية بالكلمات وتركتها،صورة

تتكلم عن ما كان يدور بين أهم نخبة في طليعة تلك الفترة،و لم تكتب تحت تأثير العلاقة مع باتاي،بل في خضم المعركة الصامتة مع باتاي،كانت تكتب عن الجرأة المخيفة و الخوف من الجرأة،عن الحاجة للحنان،مرأة مزقت كل الأقنعة ليظهر الجرح بوضوح،لم يزعجها أي شيء أو أي شخص بقدر ما أزعجها عدم اكتشاف الحياة في زمن آخر،لم تجد يوما واحدا للراحة من عذابها،أحيان هادئة كراعية لقطيع من الأغنام،و أحيانا دموعها و هذيانها،العربدة و الحمى تسيطر عليها،ويصبح الحزن خبزها اليومي،وهذا لا يقلل من حلاوتها الرهيبة،ما جعل علاقة ليريس و باتاي تستمر،هو كراهية ليريس للنقاشات النظرية،ومع ذلك كان يحب مناقشة كل شيء مع كوليت،في الرسائل بينه و بين كوليت كانت حميمية الإعتراف موجودة،حتى في سيرته الذاتية كتب بنفس الطريقة التي كان يكتب بها لكوليت،قال ليريس:**"الأدب يحتاج الخيال،لكن السيرة الذاتية تشبه مصارعة الثيران التي أحبها،في السيرة الذاتية هناك مخاطرة لا يمكن للأدب تحملها"** ،باتاي و كوليت و ليريس مثلث يقدس التواصل عن طريق الصمت،الكتابة في عزلة تامة كانت هي أداة التواصل في هذه العلاقة الثلاثية المعقدة،وجه الحب قريب من وجه الموت،لهذا كانت كوليت لا تخاف من الحب و لا تخاف من الموت.

باتاي ينظر إلى الهاوية كتعريف للصراع بين الإنسان و الأشياء،الإنسان يتخلص من الأشياء،و الموت يتخلص من الإنسان،بعد الموت يتحول جسد الإنسان إلى شيء،للإنسان قيمة تخريبية،و للأشياء قيمة تخريبية،لغة الإنسان هي أسماء الأشياء،لغة الأشياء هي عبادة الإنسان لها،الأشياء هي الشكل،العالم بدون الأشياء يصبح عديم الشكل و شفاف بدرجة مخيفة،باتاي قبل الحرب العالمية الثانية كان مهتما بالاقتصاد و تجربة الإنسان الداخلية،باتاي كان يفكر في الكيفية التي تظهر بها الأشياء في تجربتنا الداخلية،وكيف تعطي هذه الأشياء شكلا للتجربة،في التجربة الداخلية نكشف عن الكائن،عن حواف قولنا "أنا"،لكن لا تكشف عن الموضوع،مع قولنا أنا تبدأ الرغبة في الموضوع،عكس المعرفة التي تنظر إلى الموضوع بطريقة سلبية،الرغبة تعني الإمتلاك،تعني الإستهلاك،باتاي

كان يمتلك كوليت و يستهلكها،كانت العلاقة تشبه فجوة غائرة أو حفرة،أحيانا تظهر كوليت في الصورة الكبيرة،و في أحيان كثيرة تختفي،باتاي يدخل من الباب لينظر إلى الصورة،و يخرج من الشباك ليختفي فتختفي الصورة،لكي يكون هناك معنى للتضحية لابد من وجود كائن يكون هو الضحية،كوليت هي هذا الكائن الذي ينظر إلى التضحية كعمل هام ورائع، إن وجود شخصين في مكان واحد يعني الإنفاق،هذا الإنفاق الروحي و الجسدي يجعل الآخر موضوع لعبة ليس لها اسم،هذه اللعبة يتم فيها إسكات الآخر،فيصبح هذا الآخر غير قابل للفهم،كوليت غير مفهومة و لهذا ليس لها وجود كامل،كانت قابلة للطي و يمكن نسيانها كظل نهائي لشخص غير موجود،كوليت تقول:**"في العزلة الإنسان يشبه البخيل مع ذهبه"**،،باتاي كان مشغولا بنيتشة و أعماله،يبحث عن حل لمواجهة الفاشية بعد فشل الهجوم المضاد عليها بسبب بريتون،ما كان يزعج باتاي هو الفردية في مواجهة هذا الصعود المدمر لقوى ظلامية،الفردية البرجوازية متجذرة في وجدان المثقف البرجوازي،خطر الحرب يحتاج إلى عمل جماعي،كان الاتحاد السوفيتي يحاول جمع شتات المثقفين في باريس،عدد كبير من هؤلاء المثقفين مهاجرين و منفيين من الاتحاد السوفيتي نفسه و ألمانيا،لكن المؤتمرات التي حضر بنيامين أحدها كمهاجر ألماني لم تقدم شيئا يذكر في مواجهة خطر الحرب،باتاي شعر أن الحرب العالمية الثانية قادمة و لا مفر منها،وهذا يفرض عليه الخروج من العزلة و البحث عن تمثيل جماعي للمقاومة،لهذا قرر تأسيس مجموعة سرية مع بيير كلوسوسكي،أندريه ماصون،كوليت بينو،روجر كايلويس،جان فال وغيرهم ،كانت المجموعة تجتمع في مكان طبيعي بالقرب من أنقاض قلعة منتجوا،و تحت شجرة ضربة بصاعقة،يتم الوصول إلى هذا المكان بشكل فردي و بإستخدم القطار،و يمنع الحديث في القطار مع أي شخص من المجموعة أو خارجها،فكرة الشعار رسمها أندريه ماصون مستوحاة من لوحة لليوناردو دافينشي "الرجل الفيتروفي"،و اسم المجموعة "مقطوع الرأس" أسيفال Acephale،لأن اللوحة التي رسمها ماصون فيها رجل مقطوع الرأس و يحمل في يده اليمنى قلب يحترق،و في اليسرى خنجر،الرأس مقطوع رمز للعداء مع العقل الحديث،العقل

الحديث هو ما جعل الإنسان يفتقد إلى الاتجاه و الهدف،و بدل أن يبحث العقل الحديث عن أرضية مشتركة يقف عليها مع الآخر،قرر أن يستخدم البنادق و المدافع كوسيلة لقتل الآخر،من بعض قواعد هذه الجماعة السرية عدم السلام باليد على المعادين للسامية،و الاحتفال بقطع رأس ملك فرنسا لويس السادس عشر أثناء الثورة،أول اجتماع للمجموعة كان في 24 يونيو 1936م،ثاني عدد من مجلة "الرجل مقطوع الرأس" كان عن "نيتشة و الفاشية"،و أحد مقالات هذا العدد كان عن زواج أخته إليزابيث فورستر نيتشة من المعادي للسامية برنهارد فورستر،وكيف قطع نيتشة علاقته بأخته بسبب هذا الزواج.

حان الوقت للتخلي عن العالم المتحضر،هذا العالم لا يقدم إلا قصور الفردية،العالم لا يمكن أن يكون محبوبا كما كان من قبل،لم يعد بيننا و بينه الحب الذي يشبه حب الرجل للمرأة،العالم الذي ننتمي إليه،عالم مبتذل،الحياة فيه أصبحت مجرد ضجة لا تماسك فيها،الحياة اليوم تقوم على أساس الرعب المفاجئ،بهذا النوع من الكلمات كانت مجلة "الرجل مقطوع الرأس" تخاطب القارئ،كانت المجلة إعلان عن تفكك بنية المجتمع بسبب التطور،و بفعل الاقتصاد كل المجتمعات في تفكك مستمر،لا يقدم العالم و هو على هذه الصورة سوى العقم،و الضمور،و الوجود المسحوق تحت رحمته،عندما فكرت المجموعة في تقديم قربان رمزي كما كانت تفعل الشعوب القديمة،كوليت أرادت أن تكون هذا القربان،كان الطلب صدمة كبيرة للمجموعة،تم إلغاء الفكرة بسبب إصرارها أن تكون هي القربان البشري الحقيقي بدلا من القربان الرمزي،لقد قال باتاي عام 1950م:**"الرجل مقطوع الرأس" كانت أجمل خطأ في حياتي"**،كانت هناك دعوات للكثير من الأصدقاء لكن القليل منهم وافق،كان باتاي يشعر بأنه مهجور من قِبل الجميع،باتاي يريد أن يصل إلى نخاع الحياة،و كوليت تعيش في غابة تدفع الحياة إلى الجهة المظلمة فيها،أوهام كثيرة و مشاعر غريبة،الحياة تنمو في داخل صدر مريض لا يحسن التنفس،كوليت تجر نفسها لمكان أبعد من أن تصل إليه،الحياة من زاويتها لا تقبل العيش إذا لم تكن مخاطرة،الوقوف على حافة كل شيء فيها هو ما يعطيها معنى،الحب نفسه يجب أن يكون مخاطرة،يجب أن يكون

تجاوز للأمل و الملل و الرتابة،و تجاوز لأشكال الدوار عندما نقف على حافة الفقد،أو عندما ينظر إلينا الظلام من مكان خفي،الحب يعتبر الحياة الهادئة روتين،الحب معارضة يومية لكل عادة،هذه النظرة للحب صنعت منها رمزا للرغبة في فكر أصدقاء باتاي،كل شيء كانت تفعله أو تقوله،كان للوصول إلى الشعور بالسحر،تجذبها الملذات الخطيرة،لا توجد لذة مرتبطة بالسلامة و الأمان،اللذة مغامرة خطيرة تخوضها بطريقة طوعية،لا تفكر في القبض عليها أو التفكير في عناصرها،عليك فقط أن تستسلم لها بجدية مفرطة،كوليت يمكن أن تسكت لأيام و لا تثير أي جدل،هذه الهادئة و المسالمة،هي نفسها كوليت التي تأخذ المخاطرة كطريق للذهاب إلى حدود الحياة،هذا التناقض الموجع هو شرط الحياة بنشوة،هذه الطريقة في الحياة مرفوضة اجتماعيا،منحرف،نرجسي،مجرم هكذا يصف المجتمع السائر على هذه الطريق،لأن المجتمع يجد في الرتابة و الملل أشخاص يسهل قيادهم و تدميرهم،لأن المجتمع يصر أن يكون لحياتك هدف يخدم مصالحه،عليك أن تعمل،تعمل،تعمل،لأن المال هو الذي يقدم الحياة كسلعة،المغامرة و العيش على الحدود في عالم الفقراء،هو عدوان و اعتداء و عدم استقامة من وجهة نظر المجتمع،كوليت كانت معارضة لهذا المجتمع،تريد أن تعيش المجهول في حين يريد المجتمع أن تعيش المعلوم بشكل ممل و سطحي،باتاي يمثل بالنسبة لها مثال على فلسفة متاهة التناقضات،يعيش مثلها على حافة كل شيء حتى نفسه،عندما كانت مع سوفارين سافرت إلى إيطاليا و اسبانيا و دول أخرى،لكن الحياة معه كانت مملة و في غاية الرتابة،هذه الحياة تصلح للعيش في أسرة لا تعرف معنى الحماقة البشرية،باتاي عندما قرر تكوين مجموعة أسيفال لم يفكر في العزلة النهائية عن المجتمع،بدون المجتمع لا معنى للتجربة،كان يريد الحياة وسط مجموعة صغيرة تعيش معنى تبادل الصدق و الحقيقة،المجتمع القائم على الإنتاج والتواصل فيه يعتمد على العنف و الكذب و المصالح،مجتمع يمنع الإتصال بين الخبرة و التجربة،يرفض الميل إلى أي إتجاه غير الإتجاه الذي رسمه و ما يتفق و المصالح الإقتصادية،لكي تكون لقصصنا معنى،لكي تكون لمعرفتنا معنا،يجب أن تتحول إلى خبرة،و لكي تتحول إلى خبرة

لابد من عيش التجربة في حدودها القصوى،المجتمع يعمل على إستبدال التجربة الحميمة بالعمل،كوليت كانت تعمل ممرضة و قريبة دائما من تجربة الموت العنيفة،دائما تنظر إلى الناس و هم يقفون على الحافة في انتظار السقوط،كانت تخاف من الإنتظار،لكنها لا تخاف من الموت،كانت حميمة مع الناس و الأشياء،تسمي البيت الذي تسكن فيه مع باتاي "الراهب"،لأن كل جدرانه مطلية بالأبيض،هذه العلاقة المفرطة في حميميتها مرعبة،لكن كوليت لا تخاف هذا الرعب،لأن الحميمية بالنسبة لها هي الغاية من الوجود.

باتاي تكلم عن الاستهلاك عديم الفائدة،الفائض الذي يجب أن يستخدم بطرق تجعل الحياة أكثر سهولة و استقرار و زيادة الخدمات،يستخدمه الإنسان في زيادة القوة الحياتية التي تتغذى على الاستهلاك،ويستخدمه في الاستعداد للحرب،إن ضروف الحياة الصعبة و خاصة الإقتصادية تقود الإنسان إلى أعمال مقززة و عنيفة،كوليت كانت متعاطفة مع فهم باتاي للتبادل الطقسي،و مدى إمكانية خلق إقتصاد هجين يقوم على حرية السوق و في نفس الوقت على التبادل و الهبة،لكن كوليت كانت رافضة لكل أشكال الرأسمالية،و كل أشكال العمل السياسي،بعد وصول ستالين إلى السلطة،كانت أزمة من إنعدام الثقة،و قالت حول هذه الأمة:**"لحظات السعادة البشرية تشبه المحنة،أو النزوة،فيها عذاب أكثر من كل اللحظات الأخرى"**،تمردها ضد الدولة البرجوازية كان نقيا،لهذا قال عنها باتاي:**"كوليت هي التمرد في حده النهائي"**،تريد من هذا التمرد أن يكون معركة ضد الدولة الدنيئة،و بحث عن الحياة في مجملها وليس أجزاء منها فقط،هذا التمرد فيه المقاومة،و القدرة على التنبؤ،ولحظات متقلبة بين السعادة و الحزن،تمردها كان ضد أي نوع من أنواع القمع،وضد المعايير التي يضعها القمع في السياسة و الاقتصاد و الاخلاق،و أيضا التي يضعها في الشعر و النثر و الاقتباسات و الرسائل،في مقالة باتاي "المبتدئ الساحر" يقول:**"مصير الرجل لن يصبح حقيقة عندما يقرر القتال،بل عندما يقرر الإندماج مع قوة الصف الذي أراد أن يواجه الموت معه"**،كوليت كانت جديرة بالإندماج معها في مواجهة الموت،في شهر مارس و تحديدل في مقهى فيفور بفندق القصر الملكي كان باتاي يفكر في تأسيس

عمل جديد ضد الفاشية،في يوليو 1937م أقام باتاي حلقة فكرية سماها "كلية العلوم الاجتماعية"،وتم الإعلان عن تأسيسها في مجلة أسيفال،كان الهدف من إنشاء هذه الحلقة كشف العلاقة بين الأدب و علم الاجتماع في فترة مابين الحربين المتوترة للغاية،بنيامين كان حريصا على حضور الحلقة،و الكتابة في المجلة الصادرة عنها،باتاي كان منهمكا في العمل مع ميشيل ليريس،و روجر كايلويس،وفي خضم كل ذلك كانت كوليت تعاني من الأهمال،تعاني مقاومتها المطلقة لكل شيء بما ذلك الكتابة،و تشعر أن كل شيء يحول هزيمة هذه المقاومة،الإيمان بقداسة الثورة جعل كوليت عنيفة أكثر،تتحدث عن الموت و الانتحار كتعبير عن هذه الثورة،نجد صدى لهذه الأفكار في مقال باتاي:"هيغل،والموت،والتضحية"،كانت دائما تقول:**"الموت ثورة دون انتصار"**،لم يكن يهم كوليت الأسباب التي يتحدث عنها الناس للثورة،مثل العدالة واليقظة السياسية،الثورة من وجهة نظرها هي مقاومة ظروف الحياة الرديئة لتعزيز قيمة الحياة،من هذا المنطلق كانت تعلن على الملأ إزدرائها للزواج،كوليت ليست مثل كافكا الذي وصف جحيم الرأسمالية لكنه تخلى عن الثورة ضدها،وصف ملحمة العاطلين عن العمل في "القلعة"،وصف ملحمة المدعى عليه في عصر البيروقراطية في "المحاكمة"،وصف ما ستكون عليه أمريكا الإمبريالية و هو لم يرها في روايته "أمريكا"،اكتفى بالهروب من جهنم الزوجية،والنجاة من أن يكون أب في عالم لا يشعر أنه موجود فيه،كوليت هاجمت الستالينية،الرأسمالية،الاحتكار،المركزية،بالنسبة لها ثلاثي الثورة ،الحياة،الموت،مع حركة المقدس وسط هذا الثلاثي كقوة مركزية هو ما يشغل كوليت في كل لحظة،قصائدها كانت تعبير عن تناقض الحياة و الموت،و كيف أن هذا التناقض هو ما يميز المقدس،التفكير بهذه الطريقة و المحافظة على حضور كل الاجتماعات و الندوات،مع إهمال باتاي المتواصل جعلها تدخل المصحة المرة بعد المرة،كان سوفارين بحنانه الأبوي حريص على وجودها دائما في مصحة تعتني بها،و باتاي يرفض تدخل سوفارين في حياتها بهذه

الطريقة،كنت ترسل لباتاي رسائل من المصحة تعبر عن حالتها،و عن الحالة التي وصلت إليها علاقتها به.

"لديك فرصة واحدة فقط كي تساعدني،إنها ليست من العذوبة في شيء،عدم رغبتك في رعايتي،أو الإستيقاظ من أجلي عندما أتصل بك،إنها حقيقتك و حقيقتي،جورج،هل تفهم أن حياتي و موتي ملك لي وحدي؟الآن،في هذه اللحظة،أنا قريبة من الحياة بنفس المسافة القريبة بها من الموت،لا يستطيع أي شخص في هذا العالم فعل أي شيء طالما أنا لا أجدك في أعماقي،هناك حيث يجب أن أجدك،جورج،ربما أنا لا أحبك،جورج،أنا أعلم حقيقة ما حدث بالأمس،أنا أعرف،و لطلما كرهت حياتنا معا،و أردت الهروب بعيدا عنك،الهرب إلى جبال بعيدة _أفهم الآن أن هذه الرغبة كانت للمحافظة على حياتي_ في اللحظة التي يكون لدي فيها المال الكافي،فكرت كثيرا في ذلك،لقد كنت مرعوبة من هذه المرور السريع،من خلال عملي،من خلال الليالي التي نقضيها معا،كيف تتجرأ و تتحدث معي عن الضعف،دائما تتجرأ على فعل ذلك،أنت من لا يملك القوة للبقاء ساعتين وحيدا،أنت من يحتاج شخص بجانبه ليلهمك كل أفعالك،أنت من لا يقوى على أن يريد ما يريد،أنا أعرف أنها تقودك إلى حيث تريد هي،هذا شيء تم إثباته،أنا مازلت أؤمن بقدرتنا على العيش معا،بنفس القدر من الايمان الذي شعرت به في أول مرة تحدثنا فيها عن المنزل،أنا أؤمن بهذا بنفس قوة إيماني بكل شيء جمعنا،في عمق ظلامك و ظلامي،كشفت لك كل شيء عن نفسي،ربما هذا ما يمنحك متعة الضحك الآن،لكن أنا الآن بعيدة كل البعد عن الغضب"،هذا جزء من رسالة من كوليت إلى باتاي،كانت تعيش علاقاته الأخرى بشكل غاية في الحزن،في النهاية لم تتحمل الاستمرار في اتفاقها معه،تعبت من تركه لها وحيدة و كئيبة،كنت تقاوم الكتابة،لكن لم تجد لها بديل،كل كتاباتها عن المقدس لم تكن برغبة منها بل كانت إجابة عن سؤال طرحه ليريس عليها و هو:**"ما هو المقدس؟"**،أما في حياتها اليومية فقد كانت مستعدة لتضحية بمالها و حياتها من أجل ضمان انتصار الطبقة العاملة،كانت مثال المثقف البورجوازي الذي يبحث عنه بنيامين،المثقف الذي لا

يبحث عن السيطرة في مجتمع رأسمالي،بل عن الطريقة التي ينتصر بها العمال على هذا المجتمع،من خلال الحركة التي تتحدث عنها كوليت،الحركة التي تكشف عري ضبط النفس عندما يتم القبول بحياة مشتركة بين كل الكائنات،مثقف يعرف أن المقدس يتحول دائما ليصبح قوة سياسية عنيفة،لا شيء في هذه الحياة إلا و يعيش من أجل أو ضد،كوليت تعيش من أجل الحياة و ضد الموت،من أجل الفقراء و ضد الأغنياء،من أجل المتعة و ضد الملل،هذه هي الحركة من الحياة إلى الحياة،لهذا تقول:**"كل الخطوات التي مشيتها في حياتي كانت نحو المتواطئون مع النشوة،تلك النشوة التي سمحت لي بالسير فوق كل العقبات"**،في قصيدة لها تقول:**"وضعت لافتة على بابي تقول:يا من يريد الدخول إلى هنا..عليك أن تتخلى عن كل أمل في أن تكون ما كنت..هنا نعيش عراة،أو عارية،أو عارية"**،هذه اللافتة هي ما جعل حياتها مبعثرة،وقلقة،ومتوترة مع باتاي،كانت تخرج من المصحة مع باتاي،و تعود إليها مع سوفارين،السل كان يقضم منها جزء في كل مرة تخرج فيها،وجزء آخر في كل مرة تدخل فيها،هذه الحركة جعلتها تشعر بالوهن و الضعف،ومع ذلك كانت تكابر و ترفض أن يقال لها:**"أنتِ ضعيفة".**

يقول باتاي في كتابه "المذنب": **"بدأت الكارثة في صباح ذلك اليوم،كنت في الحمام،نظرت من النافذة إلى الجنود و هم يهبطون من على المنحدر،المرأة الجميلة و السعيدة غير مرئية بالنسبة لهم،أنا وحدي أرها من النافذة"**،هذه المراة البعيدة عن النافذة هي كوليت،كانت كوليت في السرير تصارع السل،تكتب عن التزلج و المشي لمسافات طويلة،عن اللعب و تجاهل الموت كنوع من مقاومة الحداثة،تطارد معنى المقدس في حضارة يعد فيها الوصول إلى القبر أو الانتحار نوعا من البهجة،أصبحت نحيلة جدا،و شعرها القصير يصل إلى كتفيها،فستانها الداكن يخبر عن حالتها،كانت تقول لباتاي،**"أنا ضحيت السل،على الاقل لم أكن ضحية الاستهلاك"**،كانت تستخدم كل شيء كسلاح في وجه الرأسمالية،ملابسها البسيطة جدا،حياتها المتقشفة رغم الميرث الكبير الذي حصلت عليه،كانت تفهم تفسير بودلير لإستغلال الأزياء و مواد التجميل لصنع حياة حديثة و مبهرجة،تعلن أمام الجميع أن الجميل هو الطبيعي،الاصطناعي كله تلاعب بعقول الناس،بودلير

تكلم عن شعر يشبه المكياج،كل كلماته لا مرجع لها إلا الخداع،هكذا كانت كوليت تقاوم حمى الاستهلاك،كنت تسخر من نفسها أحيانا و تقول:**"اليوم أشعر بالذنب لقد ذهبت إلى السوق و كنت ضحية الاستهلاك"**،كان الطبيب قد نصحها بالكتابة كنوع من الرياضة التي تنظم التنفس،و أن الكتابة قادرة على كسر العزلة التي تعيشها في السرير،وهي كانت تبتسم في وجهه و تقول:**"هذا المرض غبطة بطولية،لا يمكن منع نفسي من الاستجابة للحياة،لكن لا يمكننا التصرف ضد متطلبات الحياة،الحياة تريد الحركة،الحياة هي تدفق الدم في الأوردة،و أنا لا أستطيع الحركة و لن أمنع نفسي من الرغبة في العيش"**،كان باتاي يجلس إلى جانبها و يتذكر صورة أمه و هي في السرير،ينظر إلى جسدها و الأماكن التي اطفأت فيها سيجارتها،أماكن كثيرة،تحكي قصصا كثيرة عن الألم و العذاب،لعلاج كوليت تم استخدام علاج يسمى دياثرميا،وهو علاج تستخدم فيه الكهرباء لتعديل الطاقة الحرارية في الجسم،و أكثر من عملية جراحية من أجل دخول الهواء إلى الصدر بسهولة،لقد عرف جسدها كل أنواع الألم و التشويه،كوليت لم تخاف من الموت في أي لحظة من لحظات حياتها،كانت خائفة من موت الفكرة،وهذا ما كان يجعلها غريبة و غامضة و مرعبة أحيانا،عندما تنظر إلى المرآة لا ترى شخص آخر غريب عنها،كانت ترى القديسة و العاهرة في نفس الوقت،لم تكن تتهرب من إحداهما لصالح الأخرى،ليست في حاجة إلى جمهور يصفق،و ليست في حاجة إلى أن تكون مدهشة أو مغرية،هي هكذا بلا تكلف أو تصنع،معارضة لكل أنواع الظلم،لكل أنوع القمع،شفافة كالماء،نقية كالسماء،حرة كالريح،تحب اسم "لور" الذي أطلقه عليها باتاي،لأنه يشكل الفارق بين أن تمثل أنك تعيش،و أن تعيش بشكل حقيقي،في كقصيدة لها تقول:**"ملاك أو عاهرة..أنا على استعداد..لتقبل كل الأدوار المقدمة لي"**،كانت تشعر بالتقزز من المراوغة المثالية،**"أنا من يركب الريح ..على وقع إيقاعات غيوم مجنونة..أتسول الصداقة..لأني متوحشة قليلا"**،كوليت رفضت الموت في المصحة،أرادت أن تكون مع باتاي و صديقها ميشيل ليريس في لحظاتها الأخيرة.

كانت قد فقدت شهيتها منذ فترة طويلة،و الحمى مستمرة و لا تمنحها فرصة للتنفس،تسعل طول الليل،و العرق يغطي جسدها المنهك،باتاي لم يتركها لحظة واحدة،قبل الفجر بقليل أخذت تشير بيدها إلى مكان في الدولاب الكبير،فتش باتاي المكان الذي أشرت إليه،أخرج رزمة كبيرة من الأوراق،عاد و جلس بجانبها،فتح أول و رقة فوجدها تتحدث عن المقدس،ابتسمت في وجه باتاي الذي أمسك يدها،كان يبكي بدموع حارة،أرادها أن تقول أي شيء،لكنها فارقت الحياة و هي مبتسمة في 7 نوفمبر 1938م.

شكل 3 كوليت لور لوسيان بينو 1938م

بعد موتها كتب باتاي كتابه "مذنب"،بدأ الكتابة في 5 سبتمبر 1939م بعد يومين من اعلان الحرب،الفصل الأول من الكتاب عنوانه "الصداقة"،ونشر الكتاب عام 1940م باسم مستعار هو ديانوس،يصرخ باتاي: **"لقد آمنت بكلية و قدرة الشعر،لقد غشنا العالم المسيحي عندما قال هذه هي الروح،في حين أنه لم يقصد سوى لغة العقل،الوجود الإنساني مذنب،لأنه يعارض الطبيعة،لأنه بسبب هذه المعارضة يطلب المغفرة،بتواضع شديد يطلب المغفرة من الذي يعمل على تفاقم الشعور بالذنب،البراءة هي طريقنا الوحيد للخلاص من الذنب،براءة النشوة الجسدية،الضحك،الحب،و الجرائم الصغيرة،هذا هو عالمكم الذي يريدنا أن نعتذر و نطلب المغفرة عن ذنوبنا،وهو نفس العالم الذي تسمى فيه السلبية "عمل"،و العمل فيه هو امتلاك الأشياء"**،لقد كتب باتاي هذا الكتاب كاعتذار لكوليت،عندما قرأ الأورق صدمه أن كوليت قدمت الإجابة عن كل الأسئلة المطروحة و أهمهما:**"ما هو المقدس؟"**،قام باتاي مع ليريس بإعداد كتاباتها للنشر،وتم اختيار أول صفحة قرأها باتاي لتكون أول صفحة،ظهرت أوراق كوليت في كتاب عنوانه "مختارات من كتابات لور"،أما ما نشره جيروم بينو من كتابات كوليت فقد كان كله موجه إلى ميشيل ليريس،كتب باتاي بعد موتها في عام 1938م: **"امرأة ماتت،و بموتها بعثرتني إلى اشلاء"**،باتاي الذي لم يكتب كثيرا قبل موتها،كتب بدون توقف بعد موتها،لقد وجد باتاي ما يبحث عنه في التصلب المرعب لموتها،و بعد عام من وفاتها كتب:**"مرة أخرى بنوع من الملل الخالي من أي تعبير عن النشوة تمسك بي،أسناني مشدودة بنفس الطريقة التي كانت عليها في مثل هذا الوقت من العام الماضي،فجأة المسافة ذابت بين حياتي و موت لور"**،موتها الفتيل الذي أشعل الإجابات أمام باتاي عن سؤال حبه لها،لكن طرح سؤال أكبر عن هوية باتاي نفسه،باتاي بعدها أصبح مقبوضا من مواجهة النساء،ترك السهر و علب الليل،سافر إلى اسبانيا أكثر من مرة ليبتعد عن باريس،و لم يدب الحماس في روحه من جديد إلا عام 1940م عندما تعرف على موريس بلانشو،هذا الأخير يعد حلقة الوصل بين الطليعة الفرنسية غير الأكاديمية و الطليعة الأكاديمية مثل فوكو و دريدا و ليوتار و كرستيفا و بودريار،هذه

الصداقة جعلت أيام الحرب أسهل على باتاي الذي رفض الخروج من فرنسا،باتاي كان حزينا بدرجة كبيرة جدا لدرجة أنه قال:**"هذا الكوكب،هذا العالم،هذه السماء المرصعة بالنجوم،بالنسبة لي ليست سوى قبر"**،ما تبقى له من هذا هو الكتابة التي يقول عنها**:"إنها خيط أرديان الذي يربطني بأصدقائي الكتَّاب،و أصدقائي القراء،أنا لا أتكلم عن الموجودين الآن،بل الذين سيأتون في المستقبل،لأني الآن أكتب من القبر".**

شكل 4 عائلة جورج باتاي عام ١٩٠٨ م